شبابنا

والاعتزاز بالهوية

أ.د. محمود عبدالعزيز يوسف حجاب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبابنا والاعتزاز بالهُوية

تأليف

أ.د. محمود عبدالعزيز يوسف أبو المعاطي
أستاذ الفقه المقارن عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى سابقاً

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين؛ اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ثم أما بعد

فإن الاعتزاز بالهوية الإسلامية هو شعور بالانتماء والتقدير لقيم ومبادئ الإسلام، وشعور بالتميز والاستقلالية كأمة إسلامية. وهو شعور يستند إلى مجموعة من العوامل.

منها: الإيمان بالله تعالى، ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والدين الإسلامي. والاعتزاز بتاريخ الأمة الإسلامية، وإنجازاتها الحضارية والثقافية. والشعور بالانتماء إلى المجتمع الإسلامي، والالتزام بقيم ومبادئ الإسلام. ويتمثل الاعتزاز بالهوية الإسلامية في مجموعة من السلوكيات والممارسات، منها: التمسك بالقيم الإسلامية، والالتزام بمبادئها في الحياة اليومية. والحرص على تعلم تعاليم الإسلام، ونشرها بين الناس. والدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين.

وللاعتزاز بالهوية الإسلامية أهمية كبيرة، فهي تسهم في: بناء شخصية المسلم المتميزة، والمحافظة على قيمه وأخلاقه. وتعزيز الانتماء المجتمعي، وتحقيق الوحدة والتماسك بين المسلمين. والدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين، ومواجهة التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية. وفي ظل العولمة الثقافية، التي تتسم بانتشار القيم والثقافات الغربية، أصبح الاعتزاز بالهوية الإسلامية أكثر أهمية من أي وقت مضى. فالإسلام يمثل هوية ثقافية وحضارية مميزة، تتميز بالقيم الإنسانية والأخلاق الفاضلة. ولذلك، فإن الحفاظ على الهوية الإسلامية، ونشرها بين الناس، هو واجب على كل مسلم.

وهناك مجموعة من الوسائل التي يمكن من خلالها تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية، منها:

التوعية بأهمية الهوية الإسلامية، وأهدافها. توفير فرص التعليم الديني، والتدريب على القيم الإسلامية. ودعم المؤسسات والجمعيات التي تعمل على نشر العلم والثقافة الإسلامية. والاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة في نشر القيم الإسلامية. إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية هو مسؤولية الجميع، أفراداً ومؤسسات. ولذلك، فإن علينا جميعاً أن نعمل على تعزيز هذا الاعتزاز، من خلال السلوكيات والممارسات التي تعبر عنه.

أ.د/ محمود عبدالعزيز يوسف أبو المعاطي
أستاذ الفقه المقارن عضو هيئة تدريس بجامعة أم القرى سابقاً
تليفون ٠٠٩٧٤٥٥٤١٩٦٤٨

شبابنا والاعتزاز بالهُوية

الاعتزاز بالهوية الإسلامية هو شعور بالافتخار والتقدير بالقيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية، والاعتزاز بالانتماء إلى الأمة الإسلامية. ويشمل هذا الشعور الإيمان بالله تعالى ورسالة الإسلام، واحترام القرآن الكريم والسنة النبوية، والتمسك بشعائر الإسلام، والحرص على تطبيق تعاليم الإسلام في جميع جوانب الحياة.

الهوية الإسلامية هي اعتزاز المسلم بدينه الإسلام وتفاخره به في وسط العالم بالكامل، لأن ديننا الإسلامي هو من أفضل الأديان السماوية.

لهذا سوف أوضح مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية وكيف يمكن للشخص أن يعتز بهويته الإسلامية.

مفهوم الهوية الإسلامية

كل أمة في العالم تفتخر بهويتها الإسلامية لأنها تعبر عن كيانها ووجودها، فهوية الشيء لغة من ذاته.

الهوية الإسلامية تعني:

(الإيمان والتصديق بعقيدة الأمة الإسلامية، مع الاعتزاز بالانتماء الوجداني إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإظهار الشعائر الإسلامية، مع الاعتزاز والتمسك بها، إضافة إلى الشعور بالتميز والاستقلاليّة الفرديّة والجماعية).

الهوية الإسلامية لها مكونات، ويترتب على المسلم التمسك بها والحفاظ عليها.

أهمية الاعتزاز بالهوية الإسلامية

للاعتزاز بالهوية الإسلامية أهمية كبيرة، فهو يساهم في تحقيق العديد من الأهداف، منها:

تقوية الإيمان وزيادة الثقة بالنفس: إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية يساهم في تقوية الإيمان لدى المسلم، ويجعله أكثر ثقة بنفسه وقدراته، ويجعله أكثر قدرة على مواجهة التحديات

والصعوبات. والمحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية: إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية يساهم في المحافظة على القيم والأخلاق الإسلامية، ويمنع المسلم من الانجراف وراء القيم والأخلاق الغربية التي تتعارض مع تعاليم الإسلام. والوحدة الإسلامية: إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية يساهم في تحقيق الوحدة الإسلامية، ويجعل المسلمين أكثر انسجاماً وتعاوناً. والدفاع عن الإسلام: إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية يساهم في الدفاع عن الإسلام ضد الحملات التي تستهدفه، ويجعل المسلمين أكثر قدرة على مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.

خصائص الهُوية الإسلامية

إن الانضواء تحت الهوية الإسلامية والاندماج فيها ليس أمراً اختيارياً، ولا مستحباً ، ولكنه فرض متعين على كل بني آدم المكلفين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قال عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. (١)

وقال سبحانه : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] ، أي : ومن بلغه القرآن الكريم.

وروى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) .(٢)

ووظيفة هذه الأمة : دعوة جميع البشر إلى الهوية الإسلامية .

- إنها هوية تستوعب كل مظاهر الشخصية ، وتحدد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه ووظيفته وغايته في الحياة ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٣]

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف :١٠٨].

---

(١) ينظر: هُوِيَّتُنا أَو الهِاويَةُ ، د. محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم .

(٢) رواه مسلم برقم ١٥٣ .

• وهي مصدر العزة والكرامة: قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال عمر رضي الله عنه: " إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام ، فمهما نطلب العِزَ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله " (٣)

• وهي هوية متميزة عما عداها : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦]

ولكي يبقى هذا التميز ثابتاً في كل حين أوجب الله علينا أن ندعوه في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة أن يهدينا الصراط المستقيم المغاير بالضرورة لمنهج الآخرين : ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من عمل بسُنة غيرنا) (٤)

وقد عرف اليهود ذلك ، وشعروا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتحرى أن يخالفهم في كل شئونهم الخاصة بهم ، حتى قالوا : (ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه). (٥)

وقال صلى الله عليه وسلم : " من تشبه بقوم فهو منهم " (٦)

وقد صح كثير من الأحاديث التي تفصل هذه المخالفة ، وتحض عليها في كثير من أبواب الدين ، قال تعالى على لسان المؤمنين وهم يخاطبون الكافرين : ﴿ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٤١] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [البقرة:١٣٩].

مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية

(٣) رواه الحاكم "١/٦١" ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، ثم الألباني كما في الصحيحة"٥١".

(٤) رواه الطبراني في " الكبير " والديلمي في " مسند الفردوس " ، وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" " ١٠٢/٥" .

(٥) رواه مسلم برقم "٣٠٢".

(٦) عَجُز حديث رواه الإمام أحمد رقم"٥١١١٤، ٥١١٥ ، ٥٦٦٧" ، ورواه أبو داود " ١٧٣/٢ " ، وصححه العراقي في "المغني" "١/٣٤٢" ، وحسنه الحافظ في "الفتح" "١٠/٢٢٢"

تتمثل مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية في العديد من الأمور، منها: الالتزام بأداء العبادات، مثل الصلاة والصيام والزكاة والحج، والالتزام بالأخلاق الإسلامية، مثل الصدق والأمانة والعدل والرحمة، والدفاع عن القضايا الإسلامية، مثل القضية الفلسطينية، ونشر الدعوة الإسلامية من أهم مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية.

وسائل تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية

يمكن تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية من خلال العديد من الوسائل، منها: التثقيف الديني ، لأنه يساهم في زيادة الوعي الديني لدى المسلمين، ويجعلهم أكثر معرفة بدينهم وشريعته، وبالتالي أكثر قدرة على الاعتزاز به. وكذلك التربية الأسرية: لأن التربية الأسرية السليمة تساهم في غرس قيم الإسلام في نفوس الأبناء، وتجعلهم أكثر تعلقاً بهويتهم الإسلامية. وكذلك يمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دوراً كبيراً في تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية، من خلال تقديم برامج وأعمال إعلامية تتناول القيم والأخلاق الإسلامية.

الهوية هي حلبة الصراع الحقيقية بيننا وبين العدو.

الهوية لا تتجزأ أبداً ولا تتوزع أنصافاً أو أثلاثاً أو مناطق منفصلة.

الانتماء إلى الدين الإسلامي

الدين الإسلامي دين عظيم ، وكل إنسان مسلم ينبغي أن يكون فخورا بسبب انتمائه له.

الدين الإسلامي هو خاتم الأديان السماوية ، و هو الدين الذي أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من رب العالمين إلى كل البشرية من دون استثناء.

والإسلام هو الذي جلب السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة.

و تضم مراتب الدين الإسلامي ، مرتبة الإسلام ، ومرتبة الإيمان ، ومرتبة الإحسان .

وأعظم مراتب الدين هي مرتبة الإحسان. وكذلك يضم أركان الإسلام الخمسة .

والدين الإسلامي يوافق العقل والمنطق كثيرا.

كما قال الأعرابي البسيط (والله ما رأيت شيئاً حرمه الإسلام للعقل والمنطق فقال : لم لم يأمر به ، ولا شيئاً أحله الإسلام فقال العقل : لم يحرمه ، لأن الإسلام هو شريعة ودستور رباني ومنهج ارتضاه الله للبشرية جمعاء).

مفهوم الانتماء للإسلام

الانتماء إلى الإسلام هو أعظم نعمة ، عند حلول النقم ، واشتداد المصائب ، يبقى الانتماء إلى الإسلام صامدا ، وراسخا لا يتزعزع.

بدليل قوله تعالى (هُوَ اجتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) [الحج: ٧٨].

وكذلك الانتماء إلى الإسلام هو الالتزام بطاعة الله تعالى ، والولاء لله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم.

ويجب على المسلم أن يبين انتماءه إلى الإسلام أينما كان ، أي أن الانتماء للدين لا ينبغي أن يتغير بالمكان أو الزمان.

بل يجب على المسلم أن يبين انتماءه إلى دينه الإسلامي في كل الأوقات والظروف ، ويجب أن يدافع عن دينه عند المصائب والشدائد .

والإسلام جاء إلى البشرية لكي يرشدها إلى الطريق الصحيح ، ويدل المسلم إلى خارطة الطريق إذا ضاعت به السُبل ، الإسلام هو التعبير الصحيح عن الحياة الدنيا بأكملها وعن عظمة الله سبحانه وتعالى .

واجب كل مسلم تجاه الإسلام

يجب على كل مسلم أن يكون منتمي إلى الإسلام انتماء حقيقيا وصادقا.

لا يكتفي الإسلام بقول الإنسان أنا مسلم فحسب ، من دون أن يكون له انتماء حقيقي من حيث السلوك ، والاعتقاد ، والمنهاج في كل نواحي الحياة.

قال الله تعالى عندما قام بوصف الأعراب الذين ادعوا الإيمان.

قال تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم).

كيف يكون المسلم منتمياً إلى دينه؟

يجب على المسلم أن يرفض كل المحرمات ؛ والمعتقدات التي تتنافى مع الدين الإسلامي ، و يجب أن يفخر بالتقاليد ، و الأعراف ، و القيم الإسلامية، و يتمسك جيدا بها ، هذا أفضل الأشياء التي يعبر بها المسلم عن الانتماء لدينه الإسلامي.

يجب على المسلم أن يحب ويؤمن بالدين الإسلامي من كل أعماق قلبه ؛ فإذا كان هذا الحب حقيقي نابع من القلب سوف يحث الإنسان لكي ينتمي إلى الإسلام ، و لكن يكون انتماء مزيف ، و كذلك إذا كان الحب حقيقي يحث المسلم على أداء واجباته تجاه دينه بكل حب .

و بدليل قوله تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

لكن إذا كان هذا الحب غير حقيقي و زائف ، و لا يطيع أمر الله و رسوله ، سوف يكون انتمائه غير مقبول .

يجب على المسلم أن يكون مسلما في عبادته ؛ عن طريق استمرار حياة الإنسان مع العبادة و الطاعة لله تعالى.

و بدليل قوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام: ١٦٢] .

على المسلم أن يكون مسلما بأخلاقه ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن الهدف الرئيسي لرسالة الإسلام هو الخلق الرفيع.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) رواه البيهقي.

و من أهم مكارم الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم ؛ غض البصر ، و الحياء ، و الحلم و الصبر ، و الصدق ، و التواضع ، و الجود و الكرم ، اجتناب الظن السوء ، و الغيبة و تتبع عورات المسلمين ، والتورع عن الشبهات .

على المسلم أن يسخر كل جهوده في سبيل الدين الإسلامي ؛ و أن لا يفوت أي فرصة و لو كانت بسيطة لكي يخدم الدين الإسلامي ، و في كل المواقف التي تخص الدين الإسلامي ، و إذا حصل وتعرض الدين الإسلامي إلى أي إهانة يجب أن يدافع عنه، حتى لو تطلب الأمر روحه .

الدين الإسلامي هو دين الحق ؛ و غيره يكون باطلا.

على كل مسلم أن يؤمن بذلك ، لأن الدين المعتبر عند الله تعالى هو دين الإسلام المهيمن على باقي الأديان الأخرى ، لذلك يجب على المسلم أن يؤمن بهذه الحقيقة و أن يتعامل معه في كل حياته ، و سوف تكون دافعا لكي ينصر أو يدافع عن الدين الإسلامي .

يجب على المسلم أن ينفذ تعاليم وواجبات الإسلام ؛ في بيته وأهله ، لأن الانتماء إلى الإسلام يعني جعل الإنسان المسلم أن يكون صاحب رسالة في الحياة ، لذلك يجب أن يهتم كل مسلم بكل من حوله سواء كان من والديه ، أو زوجته ، أو أطفاله ، أو إخوته ، أو أصدقاء ، و يجعلهم من أولوياته.

والدليل على هذا قول الله تعالى في الأهل، والزوجة، والأولاد ثم الأقرب فالأقرب.

مستنيراً بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) سورة التحريم .

يجب على المسلم أن يؤمن بمستقبل الإسلام ؛ أي يجب أن يؤمن بأن هذا الدين بعثه الله تعالى في الدنيا والآخرة لكي يسعدهم .

يجب على المسلم أن يكون على علم بوسائل العمل للإسلام.

لكي يكون انتماء المسلم انتماء واعي، و ليس عشوائيا ، لأنه إذا كان المسلم يقوم بأداء طرائق العمل الإسلامي بطريقة عشوائية لا يكون يطبق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن هناك بعض الأشخاص لا يكون انتمائهم لدينهم ، بل يكون انتمائهم لثقافتهم ، أو انتمائهم لسياستهم ، أو انتمائهم لعقلياتهم .

إذا كان المسلم يعمل على أساس التغير الكلي ، و جعل الإسلام كلي ، و يحمل الإسلام جملة ، بهذا يكون المسلم منتمي حقيقي إلى الإسلام .

مفهوم الانتماء إلى الإسلام

الانتماء إلى الدين هو شعور بالارتباط والالتزام بمبادئ وقيم ذلك الدين. بالنسبة للمسلم، فإن الانتماء إلى الإسلام يعني الإيمان بالله تعالى، ورسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والتزام تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية.

وهناك العديد من الطرق التي يمكن للمسلم من خلالها أن يعبر عن انتمائه إلى دينه، منها: الإيمان بالله تعالى والإخلاص له هو الركيزة الأساسية للإسلام، وهو أساس الانتماء إلى هذا الدين. فالمسلم الحقيقي هو الذي يؤمن بالله تعالى، ويوحده، ويخلص له العبادة، ويتبع أوامره، وينهى عن نواهيه. والالتزام بمبادئ وقيم الإسلام. والتي تتمثل في التوحيد، والعدل، والرحمة، والخير، والفضيلة. فالمسلم الحقيقي هو الذي يلتز بهذه المبادئ والقيم في حياته اليومية، ويسعى إلى تطبيقها في كل مجالات حياته. واتباع تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية. ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية المصدرين الأساسيين للشريعة الإسلامية، وهما المصدران الأساسيان للتعرف على تعاليم الإسلام. فالمسلم الحقيقي هو الذي يحرص على قراءة القرآن الكريم وفهم معانيه، والالتزام بأحكامه، ويتبع سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. وممارسة الشعائر الإسلامية. تتمثل الشعائر الإسلامية في الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فالمسلم الحقيقي هو الذي يحرص على أداء هذه الشعائر في مواعيدها، وبما يحقق لها الغاية التي شرعها الله تعالى.

بالإضافة إلى هذه الطرق، هناك العديد من الممارسات الأخرى التي يمكن للمسلم من خلالها أن يعبر عن انتمائه إلى دينه، مثل: المشاركة في الأنشطة الدينية والثقافية الإسلامية. والتواصل مع المسلمين الآخرين، وإقامة العلاقات معهم. والدفاع عن الإسلام، ونشر تعاليمه. إن الانتماء إلى الدين هو مسؤولية كبيرة، تتطلب من المسلم أن يكون على معرفة بمبادئ وقيم دينه، وأن يحرص على الالتزام بها في حياته اليومية. فالمسلم الحقيقي هو الذي يسعى إلى أن يكون مثالاً يحتذى به في الالتزام بالدين، وتطبيق تعاليمه.

الصراع بين الهُوية الإسلامية والعَولمة

قضية الهوية قضية محورية ، أزعجت كل الناس إلا أصحابها ، والمشكلة تكمن في أن أكثر المسلمين لما يقتنعوا أن الأعداء من حولهم على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم لا هدف لهم إلا استئصال شأفة الإسلام ، وطمس الهوية الإسلامية وصهرها في أتون العالمية الأممية ، وإزالتها من الوجود ، لأنها لا غيرها هي الخطر الماثل أمام القوى الراغبة في احتواء العالم الإسلامي والسيطرة عليه سيطرة فعلية ودائمة ، قال تعالى: ''وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ '' [البقرة: ٢١٧] ، وقال تعالى: ''وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء'' [النساء٨٩] ، وقال سبحانه: ''وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ'' [البقرة:١٢٠]. (٧)

إن أي جماعة تعوزها الهوية المتميزة سوف تجد في عالم تحكمه شريعة الغاب من يحاول استقطابها والهيمنة عليها، وتذويب شخصيتها ، عن طريق تدمير البنية التحتية لهويتنا العقائدية والثقافية التي تحفظ عليها سياج شخصيتها ، فيتحول الإنسان إلى كائن تافه فارغ غافل مغسول المخ تابع مقلد .

إن هويتنا الإسلامية هي مصدر عزتنا ''وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ''[المنافقون: ٨] ، وحين تمسكنا بهذه الهوية سُدنا العالم ، وخافت بأسنا الأمم ، حتى كانت كنائس أوربة لا تجرؤ عل دق نواقيسها حينما كانت السفن الإسلامية تعبر البحر المتوسط.

وحين تخلينا عنها نزع الله من قلوب عدونا المهابة منا ، وقذف في قلوبنا الوهن: حب الدنيا وكراهية الموت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا تبايعتم بالعينة ، وأخذتم أذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم ". (٨)

إن إضعاف ''الهوية الإسلامية'' أخطر وأشد فتكاً بالأمة من "نزع سلاحها"

ومما يؤسف له أن أعدائنا يدركون جيداً أن " الهوية الإسلامية " أقوى سلاح يجب نزعه من المسلمين بإثارة النعرة القومية :

---

(٧) ينظر : هويتنا أو الهاوية، إسماعيل المقدم.

(٨) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أبو داود ''٣٤٦٢'' وغيره ، وصححه الألباني لمجموع طرقه كما في الصحيحة رقم ''١١'' .

في آخر عام ٦٧م ألقى " أبا إيبان " وزير خارجية الدولة اللقيطة محاضرة بجامعة برنستون الأمريكية قال فيها :

" يحاول بعض الزعماء العرب أن يعترف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل ، ولذا كان من أول واجباتنا أن نُبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي "أ.هـ

هذا مع أن المجتمع اليهودي في فِلَسطين يتألف من مهاجرين من نيف ومائة دولة مختلفة ، يتكلمون سبعين لغة مختلفة من شتات الأرض جمعتهم عقيدتهم الواحدة رغم اختلاف اللغات والألوان والقوميات ، والعناصر والأوطان .

وهذا " أدولف كريمر " اليهودي يعلنها: " جنسيتنا هي دين آبائنا ، ونحن لا نعترف بأية قومية أو جنسية أُخرى " .

قال الأستاذ يُوسف العظم رحمه الله: " لقد سمعت وزير إعلام عربياً إبان حرب حزيران يقول: " دعونا من خالد الوليد وصلاح الدين ، ولا تثيروها حرباً دينية " ، قال ذلك وهو يعلق على ما يذيعه بعض الدعاة من حث للجند على الثبات وتشجيع للمقاتلين على الجهاد والاستشهاد ، فقلت لمن كان حولي: " منهزمون ورب الكعبة " .

وجاء في صحيفة " أحرنوت اليهودية " " ٧٨/٣/١٨": " إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب ، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً ، و يجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل ، وبأي أسلوب ، ولو أقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا". انتهى .

وقال أشعيا بومان: " إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام ، لهذا الخوف أسباب : منها : أن الاسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً ، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار.

ومن أعظم أسباب الخوف وأفظعها أن هذا الدين من أركانه الجهاد " .

وحينما أراد الشاعر " محمد إقبال " أن يبين أثر تخلي المرء عن هويته وذاتيته ضرب مثلاً فقال: " كانت مجموعة من الكباش تعيش في مرعى وفير الكلأ عيشاً رغيداً ، ولكنها أُصيبت بمجموعة من الأسود نزلت بأرض قريبة منها ، فكانت تعتدي عليها وتفترس الكثير منها ، فخطر ببال كبش كبير منها أن يتخذ وسيلة تريحها من هذا الخطر الداهم الذي يهددها ، فرأى أن استخدام السياسة والدهاء والحيلة هو الوسيلة الوحيدة ، فظل يتودد إلى هذه الأسود في حذر حتى ألفته وألفها ، فاستغل هذه الألفة ، وبدأ يعظ الأسود ، ويدعوها إلى الكف عن إراقة الدماء ، وإلى أن تترك أكل اللحم ، وأخذ يغريها بأن تارك أكل اللحم مقبول عند الله ، وأخذ يزين لها الحياة في دعة وسكون ، ويقبح لها الوثب والاعتداء ، حتى بدأت الأسود تميل إلى هذا الكلام ، فأخذت الأسود تتباطأ في افتراس الكباش ، فكانت النتيجة أن استرخت عضلاتها ، وتثلمت أسنانها ، وتقصفت أظافرها ، وأصبحت لا تقوى على الجري ، ولم تعد قادرة على الافتراس ، وبذلك تحولت الاسود إلى أغنام .. لماذا؟

لأنها تخلت عن خصائصها وفقدت ذاتيتها...." ، وصدق رسول الله ﷺ: " ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا " .

لقد وصلت محاولات " طمس الهوية " إلى حد أن يضغط علينا قتلة الأنبياء ومحرفوا الكلم عن مواضعه ، أن نفعل مثلهم ، ونمارس هواية

" التحريف " التي طالما تلطخوا بها ، فقد كان من محاور اتفاقية " كامب دافيد " : " ضرورة إزالة المفاهيم السلبية تجاه إسرائيل في الإسلام ".

وصرح " إسحاق نافون " رئيس الدولة اللقيطة الأسبق في خطابه بجامعة بنجوريون أمام السادات في ١٩٧٩/٥/٢٧م بأن تبادل الثقافة والمعرفة لا يقل أهمية عن الترتيبات العسكرية والسياسية ، وصرح أيضاً أمام قيادات الحزب الوطني بمصر في ١٩٨٠/١٠/٢٨م بأن أي صياغة أدبية أو دينية تخالف التصورات الإسرائيلية تعد مساساً بالسلام الإسرائيلي . (٩)

(٩) ينظر : هويتنا أو الهاوية، إسماعيل المقدم.

الاعتزاز بالهوية الإسلامية سبيل النهضة

أدعو شباب الأمة إلى التمسك بالهوية الإسلامية والاعتزاز بها؛ لأن ذلك أهم أسباب العزة والرفعة.

لأن في ذلك العودة إلى المعين الذي لا ينضب، معين الشريعة والعبودية والتوكل على الله عز وجل، وفي ذلك العز كله.

مفهوم هُوية الأمة التي ننتمي إليها

الهوية هي تعريف الذات وشعورها بالانتماء إلى مجموعة أو مجتمع معين. والهوية هي شعور الفرد بالانتماء إلى أمته، وتمثل مجموعة من الصفات والسمات الثقافية والتاريخية والدينية التي تميز هذه الأمة عن غيرها.

والهوية هي مجموع الصفات والسمات وطرائق العيش والتاريخ التي تمتلكها كل أمة كي تميزها عن الأمم الأخرى.

أهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية

الهوية هي مجموعة الصفات والخصائص التي تميز أمة ما عن غيرها، وتمنحها شعورًا بالانتماء والوحدة. وتعد الهوية من أهم عناصر استقرار الأمم ووحدتها، فهي التي تربط أفراد الأمة بعضهم ببعض، وتمنحهم شعورًا بالانتماء إلى أمة واحدة.

والهوية مهمة لأي أمة من الأمم لأنها: تمنح الفرد شعوراً بالانتماء والوحدة، وتوفر له الاستقرار النفسي والعاطفي. وتعزز روح الانتماء والحب ، وتدفع الفرد إلى العمل من أجل رفعة أمته. وتساعد على الحفاظ على التراث الثقافي والحضاري للأمة، ونقل قيمها وأخلاقها إلى الأجيال القادمة.

العوامل التي تهدد هوية الأمة

هناك عدة عوامل تهدد الهوية الوطنية، منها: العامل الخارجي: مثل الاستعمار الثقافي والاقتصادي، والتدخل الأجنبي في شؤون الأمة. والعامل الداخلي: مثل التعصب الديني أو العرقي، والفساد السياسي، والانقسامات الاجتماعية.

الهوية مثل جبل شامخ له قامة عالية وقاعدة كبيرة

أولى درجات الاعتزاز بالهوية

الاعتزاز بالعبودية لله تعالى فهي أول منازل الهوية.

أن يعلم المسلم أنه عبد لله تعالى وأن تعلم أنك عبد لله ، كفى العبد عزا أن يكون عبدا لله تعالى وأن يكون الله ربه.

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

وهنا نتذكر موقف الأعرابي الذي مر بالحَجاج بن يوسف الثقفي ودعاه إلى الطعام فقال له الأعرابي: دعاني من هو خير منك، فقال من؟!! قال الله تعالى !! إني صائم، فقال الحجاج للأعرابي أفطر اليوم وصم غداً فقال الأعرابي: لو ضمنت لي أن أعيش إلى غد فعلت.

موقف سعيد بن جبير

حين قال له الحجاج لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى.

فقال له سعيد: لو أعلم أن ذلك لك لاتخذتك إلها من دون الله.

لذلك فهوية الإنسان الأساسية هو أنه عبد لله.

ولذلك فأول أمر أن يستشعر المسلم أنه عبد لله.

ولذلك عليه أن يسير وفق ما أعده له خالقه وأمره أن يسير عليه لكي يصلح حاله، ولتعلم أن الله وهب لكل إنسان ما يصلحه.

من رزق الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء.

ومن رزقه الله الفهم في المنع فسيعود هذا الفهم عليه بالعلم أن ما منع منه هو عين العطاء من الله.

ولذلك قال الله تعالى ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٥٠]

يخبر تعالى أنه يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأنه يخلق ما يشاء، فمن رضي وعلم أن هذا اختيار الله له سعد وصلح حاله.

ولذلك لما رضيت أُم الكليم موسى عليه السلام بأمر الله وسلمت له بأن تلقي وليدها في اليم عاد إليها وتربى في حجرها سالما معافى.

ولما سلم يعقوب بأمر الله تعالى وترك يوسف عليه السلام مع إخوته بعد أن قال لهم (إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب)

فلما سلم لأمر الله وقدم شرع ربنا على هواه عاد إليه يوسف وزيرا فكانت المنحة بعد المحنة.

فاعلم أنك لو رزقت الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء.

لغتنا ثاني درجات هويتنا

فما أعظم لغتنا العربية وإن من العجب أن يتحدث إنسان وهو عربي وزوجته عربية وأبناؤه وإذا به في بيته يتحدث بغير لغته، وهذا الذي يتنازل عن هويته، ولذلك فلا يتكلم بغير العربية إلا لضرورة، فإن ما ضيع قوم لغتهم إلا ضاعت هويتهم.

ومن هوية المسلم التي كان يحرص عليها النبي صلى الله عليه وسلم التواضع والخفاء في العمل.

ولذلك فإن هذا التواضع يقود المسلم إلى الهوية الثالثة وهي الإخلاص.

فإذا كان العبد متواضعا قاده ذلك إلى الإخلاص ولهذا الإخلاص أمور مهمة لا يعلمها إلا الله

أولها: أن الملائكة لا تكتب الإخلاص لأنه بينك وبين ربك.

والثانية: أن الشيطان لا يستطيع أن يعلم إخلاصك أو يصل إليه فيفسده عليك.

الثالثة: أن الله عز وجل يقبل إخلاصك فيعينك عليه.

قال تعالى حكاية عن الشيطان (إلا عبادك منهم المخلصين).

ولكي تصل إلى الإخلاص عليك بتجديد النية.

فإذا أتيت إلى الصلاة فأت بقلبك لذكر الله ولتكثير سواد المسلمين، فجدد نيتك في كل أعمالك في طعامك وفي نومك وفي كل أمرك.

أدعو الأزواج إلى تقوية هوية المؤمن في بيته والتي تقوم على أمور أربعة: (بالصبر، والفضل، والتغافل، والتغافر).

فكن في بيتك بساماً ضاحكاً يسعد أهلك بك وبرؤيتك وبوجودك معهم وفيما بينهم، فلاطف الصغير وداعبه واجعل ظهرك لهم مطية.

هوية الأوطان

فلا ينبهر الشباب بما يرونه في الغرب، بل سماعك للقرآن نعمة كبيرة وسماعك للأذان خمس مرات يوميا.

و تذكر قول محمد عبده حينما رجع من فرنسا

وقال: ذهبت إلى هذه البلاد فرأيت مئة أسطول

في بلد يقول لهم كتابهم «من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر».

وعدت إلى قومي فرأيت فيهم مئة مسطول وكتابهم يقول لهم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

ولذلك فهوية الأوطان ليست بالأغاني والمسلسلات، ولكن بالعمل والاجتهاد.

أمة اقرأ لا تقرأ

أمة اقرأ والتي سبقت كل الفرائض فأول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار حراء اقرأ.

هناك إحصائية أن العرب لا يقرؤون إلا القليل بما متوسطه ست صفحات في العام؛ فأمة اقرأ لا تقرأ.

مجموعة من الآداب الإسلامية التي تساهم في تأكيد الهوية الإسلامية الحقة التي يظهر بها أدب المسلم.

التعامل بالمال الحلال والحرص على عمل الخير.

ادعو إلى التوقير في حياة الشباب.

فيوقر الصغير الكبير ويعطف الكبير على الصغير.

وعليك أن ترد المظالم فيما بينك وبين الناس وفيما بينك وبين أهلك وابدأ من اليوم برد هذه المظالم فلا تدري متى المنية.

من مظاهر الاعتزاز بالهوية

التحدث باللغة العربية؛ فنحن بلاد عربية مسلمة لغتنا العربية وكتاب ربنا ودستور بلادنا عربي ومع ذلك أصبح البعض يتحدث بغير العربية من غير حاجة.

الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي

وهو ما يسميه الناس اليوم بالتقويم لأن التأريخ الإسلامي الهجري رمز من رموز الهوية الإسلامية لأن من خلاله يعرف المسلم أزمان عبادته ويؤرخ مواعيده وفي نفس الوقت يتحد مع إخوانه في أنحاء العالم الإسلامي في تأريخ واحد.

من واجبنا كمربين أن نعلم بناتنا وأبنائنا كيف يعتزوا بدينهم ويفتخروا به، وأن نغرس فيهم العزة والفخر بدينهم فالمرء على ما شب عليه وتعود.

إن الاعتزاز بالهوية الإسلامية يعتبر واجب ديني، كما أنه واجب وطني، ففي اعتزازنا بهويتنا الإسلامية وحدة للمجتمع، وترسيخ لقيمه الأصيلة، وفي اعتزازنا بهويتنا الإسلامية امتثال لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وفي اعتزازنا بهويتنا الإسلامية خير تمثيل لهذه الأمة أمام الأمم الأخرى.

على أن من يخجل من الاعتزاز بإسلامه ودينه وتاريخه وهويته الإسلامية خاصة ممن هم بالخارج في البلاد الأجنبية خشية إملاق أو إخفاق لم يتمكن الدين من قلبه.

– على المسلم هنا أن يراجع إسلامه ويعرف الإسلام على حقيقته ليكون مفاخراً به معتزاً بتاريخه وأحكامه العملية والفقهية، وأن يعلق الإيمان بقلبه أن الله هو الرزاق والقادر على التغيير وحفظ خيرات الدنيا.

– لا بد للإنسان المسلم أن يمتثل كافة التعاليم الإسلامية اعتزازاً وفخاراً بدينه الذي جاء خاتماً للرسالات السماوية جميعها.

– الانتساب لهذا الدين عقيدة وعبادة وانتماءً وأحكاماً وأخلاقاً ومعاملات ويقارن نفسه بملايين البشر ممن يدينون بأديان سماوية باطلة كاليهودية، أو النصرانية، أو ديانات أرضية كالبوذية ،أ و ديانات لا تمت للعقل بصلة، خاصة فيما يتعلق بالإلحاد.

مكونات الهوية الإسلامية

تتكون الهوية الإسلامية من المكونات التالية:

أولاً: العقيدة الإسلامية:

وهي من أهم مكونات الهوية، وهي تجمع بين التصديق والاعتقاد بالله سبحانه المقرون بالعمل والسلوك، سواء كان ذلك على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة، فهي تجمع بشكل عام بين الفكر، والشريعة، والسلوك، من أعظم مظاهر الهوية الإسلامية هو تحقق معاني الحاكمية الحقيقية لله سبحانه، وتحقق مفاهيم عقيدة الولاء بكل مظاهرها.

ثانياً: التاريخ الإسلامي

وذلك بحفظ عناصره وأحداثه، والوقوف على عبره والاستفادة منها في شتى نواحي الحياة، والعلاقات البشرية، لأن تاريخ الأمة يجب أن يكون كالأضواء التي تنير لها الطريق وتقيها من عثرات السقوط.

ثالثاً: الثقافة الإسلامية

هي نسيج معرفي من علوم المجتمع، وقيمه، وآدابه، ولغته، ومنجزاته العلمية والحضارية، ومكتسباته في النسق والاتجاه ذاته، أي ما يكتسبه من قيم، وآداب، وثقافات في تفاعله مع المجتمعات الأخرى، فالثقافة مرنة قابلة للاتساع وليست جامدة.

رابعاً: الأخلاق الإسلامية

هي ركيزة أساسية من ركائز الأمَّة وهويتها، وغاية عظيمة للرسالات السماوية.

قيمة التمسك بهوية الأمة الإسلامية

يتم التمسك بهوية الأمة من خلال التالي:

١- سعادة الفرد وشعوره بالطمأنينة.

٢- خَلق روح التنافس الجاد بين أفراد المجتمع.

٣- تماسك المجتمع، مما يعمل على تقدمه وازدهاره في شتى مجالات الحياة، حيث تستفيد من المحطات المشرقة في تاريخها، وتقف باستمرار على أخطائها.

ما يهدد هُوية الأمة الإسلامية

إن حرب الأعداء لأمة من الأمم يكون بالتركيز على ضرب مقومات هذه الأمة، وذلك بضرب عقيدتها، وتشويه تاريخها، وإضعاف لغتها، وسلخها من كل أصولها التي تنتمي إليها.

يقول أحد المستشرقين في سياق ضرب أمتنا وهويتها الأخلاقيّة: (كأس وغانية يفعلان في الأمَّة المحمديَّة فعل ألف مدفع ونيِّف).

فكان هذا لإدراك الأثر الذي يحدثه تدني الأخلاق في الأمَّة وانحطاطها.

للحفاظ على هوية الأمّة قويّة، لابد من إحداث يقظة شاملة، وترسيخ لكل مقوّمات الهوية، وتعزيزها وحمايتها، وهذه مسؤولية فردية وجماعيّة على حد سواء، فمسؤولية الفرد بالالتزام، والتبليغ، والبحث، والتنقيب، ومسؤولية المجتمع من خلال عدة أمور منها الإعلام، والنظم التربوية، والسياسية، والتعليمية، ذلك أن الهوية إنما تعبر عن وجود الأمة، وكيانها، وحاضرها، ومستقبلها.

هُوية الأمة الإسلامية هي مجموعة من القيم والمعتقدات والممارسات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، وتمنحهم إحساسًا بالانتماء إلى مجتمع واحد. وقد تعرضت هذه الهوية للتهديد منذ القدم، ومن بين أبرز التهديدات التي تواجهها اليوم ما يلي:

التغريب: وهو محاولة فرض القيم والمعايير الغربية على المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال وسائل الإعلام والثقافات الشعبية والبرامج التعليمية.

القومية: وهي محاولة حصر الهوية الإسلامية في حدود القومية أو العرق، مما يؤدي إلى تقسيم المسلمين إلى جماعات متباينة.

العلمانية: وهي محاولة فصل الدين عن الدولة، مما يؤدي إلى فقدان الدين لمكانته في المجتمع.

التطرف: وهو انحراف عن الوسطية الإسلامية، مما يؤدي إلى ممارسات عنيفة تخالف تعاليم الإسلام.

ومن بين التهديدات الأخرى التي تواجه هُوية الأمة الإسلامية:

البطالة والفقر: حيث يؤديان إلى انتشار الإحباط والشعور بالاغتراب بين الشباب، مما يجعلهم أكثر عرضة للتأثير بالأفكار المتطرفة.

الفساد السياسي: حيث يؤدي إلى فقدان الثقة في المؤسسات الحكومية، مما يضعف من دورها في الحفاظ على الهوية الإسلامية.

الصراعات المسلحة: حيث تؤدي إلى تشريد السكان وتدمير البنية التحتية، مما يساهم في فقدان الهوية الثقافية.

ولمواجهة هذه التهديدات، يجب على المسلمين العمل على تعزيز الهوية الإسلامية من خلال:

ترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الأجيال الجديدة.

التصدي للأفكار المتطرفة والدعوة إلى الوسطية الإسلامية.

تعزيز الحوار بين المسلمين وغير المسلمين.

التعاون مع الحكومات والمؤسسات الدينية للحفاظ على الهوية الإسلامية.

وإذا تمكن المسلمون من تحقيق هذه الأهداف، فإنهم سيكونون قادرين على الحفاظ على هويتهم الإسلامية، ومواجهة التحديات التي تواجههم.

ومن أهم العوامل التي ساهمت في تفاقم هذه التهديدات هي:

الاستعمار الغربي: الذي احتل معظم البلاد الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين، وسعى إلى فرض ثقافته ونموذجه على المجتمعات الإسلامية.

ضعف المسلمين: من الناحية السياسية والاقتصادية والثقافية، مما جعلهم عرضة للتأثيرات الخارجية.

مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية

إنّ الاعتزاز بالهوية الإسلامية من أفضل الأعمال عند الله تعالى، وعلى المسلم أن يفخر بدينه فخرًا عظيمًا.

يقول الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ).

والمقصود بقول الله: (وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) في الآية الكريمة؛ هو الافتخار والاعتزاز بهذا الدين المبارك.

بل إنّ الله قد جعل الاعتزاز بالإسلام من أحسن ما يقوله المؤمن، فيجب على المسلم أن يعتز بهذا الدين المحكم، وما فيه من العدل، والرحمة، والنور، والسماحة، والمرونة، والواقعية التي لا تجدها في أي شريعة أو منهاج.

من مظاهر الاعتزاز بالدين

إنّ للاعتزاز بالدين مظاهر وعلامات تظهر في سلوك المسلم، ومن ذلك:

إظهار الاعتزاز بهذا الدين:

والفخر به في الكلام لفظاً وفي القلب اعتقاداً وفي العمل سلوكاً ومنهجاً كما بينا في الآية آنفاً.

الدعوة إلى هذا الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يقول الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)

فاعتبار الخيريّة لهذه الأمة يستدعي ويقتضي الدعوة إليها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مدح هذا الدين وإظهار محاسنه:

فعلى المسلم أن يظهر للغير محاسن الإسلام وخصال الشريعة العظيمة، يقول الله تعالى:

(قُل إِنَّني هَداني رَبّي إِلى صِراطٍ مُستَقيمٍ دينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبراهيمَ حَنيفًا وَما كانَ مِنَ المشرِكينَ).

فدين الإسلام هو الدين القيم الذي يدعو لأحسن القيم.

اتباع هذا الدين سلوكاً وعملاً:

وعدم الخجل من القيام بالعبادات وتطبيق الأحكام الشرعية، لا سيما في المجتمعات المليئة بالمعصية والفجور.

يقول الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا).

الدفاع عن هذا الدين:

وعدم السماح لأحدٍ بالاعتداء على شيءٍ من أحكامه أو الاستهزاء به.

يقول الله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ).

التحذير الشديد من السخط والتذمّر من الدين.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:(إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ).

فقد يتكلم المسلم بكلمةٍ يقدح فيها بحكمٍ شرعيٍّ أو يظهر سخطه من هذا الحكم الشرعيّ؛ فيكون بذلك ساخطاً على هذا الدين ومتذمراً من بعض أحكامه، فلربما يكون ممّن قصده النبي في الحديث السابق.

وقد يكون التذمر من خلال عدم الرضا بحكم الله تعالى أو حكم رسوله، وذلك بوصف هذا الحكم وصفاً مسيئاً؛ كأن يقول البعض في حقّ بعض الأحكام الشرعية، إن هذا تخلُّفٌ ورجعيَّةٌ، أو كقول النساء إن الله لم يعدل عندما أباح للزوج التعدد، وفي ذلك سوء أدبٍ مع الله تعالى.

فهو سبحانه أعلم بما يناسب البشر من أحكامٍ، والإسلام دين شامل وصالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، بل إنّ الزمان والمكان لا يصلحان إلّا بهذا الدين العظيم.

يقول الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. [النساء: ٦٥]

مظاهر ضياع الهُويّة

أفرز غياب الهُويّة عن حياة الشّباب جملة من المظاهر السلبيّة، والتي باتت تهدد كيان الأُمّة ووجودها ومنها على سبيل المثال:

الجهل بالعقيدة التي هي مدار الاجتماع والافتراق في الدّنيا، والفوز أو الخسران بالآخرة، وهي أشبه ببوصلته في هذه الحياة، وبدأ الشّباب البحث عن انتماءات وولاءات بديلة تتميز بالسطحية والتّفاهة والاستهلاك. (١٠)

العكوف على تعلم اللغات الأجنبية، والعزوف عن ضبط تعلم اللغة العربيّة.

انجرار الشّباب خلف الأفكار الوافدة بلا تبصُّر أو نظرٍ إلى عواقبها.

غياب مظاهر الالتزام الديني والقيمي، وغياب الهَدي الظاهر الذي يميّز شباب الإسلام من غيرهم.

شيوعُ حالة الاستهلاك والتغيّر الدائم والمتناقض؛ نظرًا لغياب الأرضيّة التأصيليّة.

ضياع الانتماء بصورته العامة؛ فشاعت روحُ الفردية الخالية من القيم الموروثة، وغاب الانتماء للأُسرة، وكثُر عقوق الآباء والأمهات وتقطَّعت الأرحام وتباعد النّاس.

ضحالة الأهداف، وقزم الطموحات والرضى بالدون.

هجرة الشّباب إلى الخارج، والتعايش مع حياةٍ جديدةٍ يتعلق بعاداتهم وطريقة عيشهم وتربية أبنائهم والحفاظ على أبسط مقومات هويتهم.

غياب المعاني القويمة كالمروءة والنجدة والحياء ومكارم الأخلاق التي كان النّاس يستفيدونها من آداب الإسلام، وتعلم الشعر وقصص الأولين، وحلَّت المعاني السطحية والتافهة عبر الفنون والغناء والمسلسلات والأفلام الهابطة؛ التي تورِث الميوعة والانحطاط.

---

(١٠) ينظر: الشّباب وضياع الهُويّة عبد المنعم العلي، رواء.

انعدام ثقافة القراءة والمطالعة الهادفة، وعكوف الشّباب -في الغالب- على قراءة الروايات والنصوص والآداب الرديئة أخلاقيًا، وقيميًا، وفكريًا، ولغويًا، والاكتفاء بمطالعة الرائج على وسائل التواصل.

انتشار ظاهرة هدر الأوقات من خلال التّسكع في الأماكن العامة والمقاهي وأماكن الألعاب، أو حتى الانفراد بالأجهزة الذكية وتضييع الأوقات والأعمار بها.

أسباب ضياع هوية الشباب

نلحظ من كل ما سبق أنّ من أسباب ضياع الهُويّة لدى الشّباب ما يلي:

حالة الضعف التي مرَت بها الأُمّة، وعدم قدرتها على مواكبة التغييرات التي حصلَت لدى العدو على غالبية الأصعدة. (١١)

خضوع البلدان للاحتلالات المباشرة، أو غير المباشرة، وتهيئة الظروف المناسبة لعمل مراكز الاستشراق.

انشغال طليعة الأُمّة على قلتهم من مصلحين بالدفاع عما بقي من مرتكزات، والردّ على مخططات العدو، وعدم القدرة على تأسيس جيلٍ جديد يقاوم ذلك التيار التغريبيّ الجارف بسبب ذلك الانشغال.

وضع العدو ثقلَه في التّعليم باعتباره النطاق الأكثر تأثيرًا والأسرع من حيث النتائج، ووضع جيل الشّباب في مرمى هدفه.

عمل المنظمات الأمميّة المنبثقة عن النظام العالمي، كمنظمة اليونسكو التي تهتم بالتعليم، وكذا حال منظمات المرأة، وحقوق الإنسان، وحقوق الطفل كلها تعمل في ذات الغاية وهي تغريب أبناء الأُمّة وتضييع هويتهم.

الإعلام، وشدة بهرجه وقوة عرضه للأفكار والقيم، ودوره في سرعة انتشارها والتفاعل معها، فقد أصبح مصدر التلقي لدى الشّباب مع أن ما يبث من خلاله غاية في الخطورة على الأجيال.

---

(١١) ينظر: الشّباب وضياع الهُويّة عبد المنعم العلي، رواء.

ضعف المناعة العقديّة والفكريّة العامة على المستويات كافة؛ رسمية كانت أم مجتمعيّة أم أُسريّة.

حالة التهميش التي يعاني منها المفكرون والدعاة والكتاب وأصحاب الرؤى الإصلاحيّة في كثير من البلدان، وإفساح المجال للمتملقين، وكُتّاب البَلاط، ومثقفي العناوين، ومشايخ السلطان ودعاته، الذين لا يهمهم في أيّة طريق سار مركب الشّباب، ولا يهمهم المحافظة على كيان الأُمّة وهُويّة أبنائها.

روح الانهزام السّارية في جسد الأُمّة، عبر سطوة المحتل وقوة آلته العسكريّة، والإعلاميّة، وكذلك ما روج له أفراخ الاستعمار وتلامذة المستشرقين من تغذية لهذا الشعور لدى الشّباب.

الواقع الاقتصادي المتردي وانتشار البطالة في كل طبقات المجتمع المتعلمة وغيرها، وهذا يلقي بالآثار السّيئة على نفسية الشّباب، ويجعلهم ينحدرون إلى أوحال المخدرات والجريمة، أو الارتماء في أحضان المفسدين، ويتساوى عندهم الرشد والضلال، والخير والشر، وتنعدم المبالاة لديهم تجاه الحياة.

ضعف العلاقة بالله المتمثلة بالإيمان به، وبما قدره على كل إنسان من خير أو شر، بما يجعل الشّباب بلا استقرار نفسي، وبلا اتساق مع روح الأُمّة التي تؤمن بتصرف الله الكامل في هذا الكون، ويجعله يبحث عن بدائل لهذه العلاقة مع الله عبر اعتناقه لقناعات مستوردة قد تؤدّي به إلى الانتحار.

غياب دور المسجد في حياة الأُمّة عامةً، وحياة الشّباب خاصةً، وذلك لبعده عن محاكاة واقعهم، وحلحلة مشكلاتهم، وربطهم بروح أُمّتهم، وصياغتهم صياغةً صحيحةً، فقد كان للمسجد الدور الأبرز في حياة الأُمّة.

تنصّل الآباء من حمل الأمانة التي أُنيطَت بهم في الحفاظ على هُويّة أبنائهم لكونهم رعاة وهم مسؤولون عن رعيتهم، فالرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق قد بين لنا أنّ مهمة الحفاظ على عقيدة الأبناء التي هي هويتهم الدينيّة منوطة بآبائهم وأمهاتهم: (كل مولود يولد على الفِطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه). رواه البخاري

بناء الهُويّة المهدمة

توثيق الارتباط بماضي الأمة المجيد زمن قوتها وازدهارها؛ ليتحقق الصلاح، كما قال الإمام مالك رحمه الله: «لا يُصلح آخرَ هذه الأُمّة إلا ما أصلح أولها».

ربط الشباب بكتاب ربهم؛ ففيه صلاحهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة.

الارتباط بنفائس التّراث الذي أنتجته أمتنا والإفادة منه.

اطلاع الشّباب على رجال تاريخنا الذين يستحقون الاقتداء بهم، بدءًا بسيرة نبينا ﷺ وصحابته الكرام ومن سار على خطاهم، والحذر من المدلسين والمشوهين للتاريخ وشخوصه متمثلين قول القائل:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ** إذا جمعتنا يا جرير المجامع

التعرُّف على الأعداء ووسائلهم في الحرب حتى يحذروا من كيدهم، وهذا من الحكمة والبصيرة والعون على التمسك بالهُويّة.

تعزيز علاقة الشباب بالمسجد، فهو المنارة الأولى للعلم، وفي ظلاله السكينة والاطمئنان.

الاعتزاز باللغة العربية والافتخار بها؛ مِن شعرها ونثرها، وما كتب فيها من ثقافتها.

تحريص الشباب على أوقاتهم واستثمارها، وليكن تعاملهم مع وسائل التواصل وغيرها مرشدًا مقتصرًا على المفيد النافع. (١٢)

من وسائل بناء الهوية لدى الشباب

١. ربط الشباب بالقرآن الكريم.

٢. الاعتزاز باللغة العربية والافتخار بها.

٣. الاطلاع على سير قدوات أمتنا العظماء.

٤. التعرف على الأعداء ووسائلهم في الحرب.

٥. تعزيز علاقة الشباب بالمسجد، والعيش في ظلاله.

٦. توثيق الارتباط بماضي الأمة المجيد زمن قوتها وازدهارها.

---

(١٢) ينظر: الشّباب وضياع الهُويّة عبد المنعم العلي، رواء.

٧. الارتباط بنفائس التراث الذي أنتجته أمتنا والإفادة منه.

٨. حث الشباب على حفظ أوقاتهم واستثمارها بالمفيد النافع. (١٣)

الاعتزاز بالهوية يبعث على الفخر والثقة بالنفس

إن المحافظة على ما تمتلكه المجتمعات الإسلامية من سمات، وملامح مميزة خاصة بها دون غيرها من المجتمعات أمر في غاية الأهمية، لأن الاعتزاز بهذه الهوية يبعث على الفخر، والاعتزاز، والشموخ، والثقة بالنفس، والمجتمع الذي ليس له هوية يتمسك بها، ويتميز بها هو مجتمع ضعيف البنية، حيران، وتائه الرؤية، يترنح تارة نحو الشرق، وتارة نحو الغرب. (١٤)

ولقد ميز الله تعالى المجتمعات الإسلامية بهوية فريدة في مصادرها، وأصولها وفروعها، وكل متعلقاتها، ومن عايشها، وفهمها، والتزم بها سعد في الدنيا والآخرة، ومن أهم ما يجب المحافظة عليه: العقيدة الإسلامية الصحيحة، والشعائر الإسلامية كلها، وفي مقدمتها أداء الصلوات في المساجد، والمحافظة على اللغة العربية؛ لغة القرآن الكريم، واللباس المحتشم بالنسبة للرجال، والنساء، وكل الأخلاق الإسلامية الفاضلة.

ولأهمية القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة كمصدرين أساسين للهوية ، فقد اعتنى الشارع الحكيم اعتناء كبيراً بالمحافظة عليهما، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء ١٠ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٣-٤٤]

وكلتا الآيتين الكريمتين تشيران إلى ضرورة التمسك بالقرآن الكريم، والسنة المطهرة لأن فيهما العزة، والرفعة، للإنسان المسلم، ولهذا فهما موضع الفخر، والاعتزاز بهما، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون، ٨]

ومن الأحاديث الشريفة التي تؤكد المحافظة على الهوية الإسلامية، ما جاء في التحذير من التشبه بالمشركين، ففي الحديث الشريف: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى

(١٣) ينظر: الشّباب وضياع الهُوّيّة عبد المنعم العلي، رواء.

(١٤) ينظر: المحافظة على الهُوّيّة الإسلامية ، مقال جريدة الشعب ، الجزائر.

الله عليه وسلم: « من تشبه بقوم فهو منهم »، وذلك لتبقى أمة الإسلام محافظة على هويتها مستقلة بذاتها، وهذا قمة التوجيه في الاعتناء بالهوية الإسلامية والاعتزاز بها حتى إن اليهود قالوا: « ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ».

ولعلي أختم التوجيهات الشرعية بمقولة في غاية الشموخ، والرفعة للإنسان المسلم، وهي للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « إنا كنا أذلّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله ».

إن الناظر والمتأمل في أحوال الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم يرى تساهلاً في الحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مجالاتها، ولعلك لو قمت بزيارة إلى بعض هذه المجتمعات في مساجدها، أو أسواقها، أو شوارعها، لأخذتك الدهشة، والاستغراب لما تراه من ضعف التمسك بالهوية الإسلامية، وقد تظن أحياناً أنك في مجتمع غير إسلامي لكثرة المؤثرات الغربية التي غزت مجتمعاتنا.

وللأسف قد تفشى من منذ زمن في الكثير من المجتمعات الإسلامية، وعلى مستوى الرجال، والنساء، وخصوصاً الأطفال، والشباب، تقليد المجتمعات الغربية في لغاتهم، وفي ملابسهم، بل وفي كثير من أساليب، وطرق حياتهم المختلفة، وهذا أمر مؤلم لأن الاستمرار في قبول هذه المؤثرات، وعدم السعي إلى تغييرها، والاعتزاز بالهوية الإسلامية يجعل مجتمعاتنا قابعة في ظل التبعية، والتقليد، ثم الإحساس بالدونية، والغلبة، وهنا تنطبق علينا مقولة عالم الاجتماع المسلم عبد الرحمن بن خلدون يرحمه الله : بأن المغلوب مولع بتقليد الغالب.

وأخشى أن الحال الذي وصل إليه المسلمون اليوم هو ما أخبر عنه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث الشريف عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم « قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال: « فمن؟ ».

وهذا الإخبار الحق من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني الاستسلام، والانقياد لكل آت من الغرب، والشرق، ومخالف لتعليمات شريعتنا، بل الواجب الحق هو أن نعمل، ونجتهد كما عمل غيرنا من المجتمعات في المحافظة على هويتهم، ونعرف الأسباب الحقيقية وراء هذا التراجع،

وهذا التقليد الأعمى لكل قادم من الخارج، ثم نتعاون جميعاً، ونرسم الخطط، ونوفر الإمكانات، وسوف تستقيم سلوكيات المسلمين إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب، فترتفع راية أمتنا عالية خَفَّاقة بإذن الله تعالى.

إن الواجب على المسلمين في كل مكان ليس المحافظة على الهوية الإسلامية فحسب، بل الواجب عليهم الدعوة إليها بالحكمة، والموعظة الحسنة، ونشرها في كافة أصقاع الدنيا لأنها مستمدة من ديننا القويم، وهو أشرف الأديان، وخاتمها، وإذا كان غيرنا من المجتمعات غير المسلمة يفتخر، ويعتز بهويته أيما اعتزاز، وهي هوية جلها ممسوخ من الأخلاق، والقيم الفاضلة، فنحن أحق بالافتخار، والاعتزاز بهويتنا، التي هي فعلاً متميزة لأنها معتمدة على أصول ربانية، وتتماشي مع الأخلاق، والقيم، والفضائل السامية، والفطر، والعقول السليمة.

من أساليب الشريعة في الحرص على بقاء الهوية الإسلامية

من تأمل في الأحكام الشرعية، والتوجيهات الإسلامية التي دلت عليها عشرات النصوص؛ وجدها متفقةً على تقرير قضية مهمة جداً، ألا وهي: الحفاظ على الهويّة الإسلامية من الخدوش، فضلاً عن المسخ والطمس، من خلال أمور كثيرة منها:

١- تحريم التشبه بأعداء الله، ولو في لباسهم، أو طريقة وضع شعورهم، ونحو ذلك، ففي صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الله بن عمرو بن العاص ثوبين معصفرين أي: مصبوغين بالعصفر فقال: "إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها " .[١٦]

وفي صحيح مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن عَبَسة السلمي: "صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار" رواه مسلم برقم (٨٣٢).

والقاعدة العامة في هذا هي المقررة في الحديث المشهور: "من تشبّه بقوم فهو منهم".

---

(١٦) رواه مسلم برقم (٢٠٧٧).

فهل يعي شبابنا وفتياتنا الذين فتنوا بالتشبه بالكفار في ملابسهم، وطريقة قصّات شعورهم، هل يعون هذا المعنى؟

٢- من أساليب الشريعة في الحرص على بقاء الهوية الإسلامية: تحريم البقاء والإقامة الدائمة في بلاد الكفر إلا من عذر شرعي، أو مصلحة راجحة، ومن قرأ التوبيخ القرآني للذين لم يهاجروا إلى بلاد الإسلام، تبينت له هذه الحقيقة، في آيات يهتز لها قلبُ الموحّد: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۞ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۞ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) [النساء: ٩٧ - ٩٩].

٣- ومن أساليب الشريعة في ترسيخ الهوية الإسلامية: التذكير بنعمة الإسلام، والهداية له، وتفضيل المسلمين على غيرهم، كما قال تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [فصلت: ٣٣].

علّقَ الحسن البصري رحمه الله على هذه الآية، فقال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله". (١٧)

ومن المأثور عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به، أذلنا الله" (١٨)

---

(١٧) رواه الطبري في تفسيره (٢١/ ٤٦٩).

(١٨) رواه الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٣٠)، وصححه.

ويتضح هذا المعنى، حين يرى المسلم بأم عينيه، كيف بلغ الذل بالمسلمين مبلغه، حين ضعف تمسكهم بدينهم، بعد أن كان مَلِكُ الروم يخاف منهم وهو في قصر ملكه في بلاد الروم والله المستعان.

٤- وفي سبيلِ ترسيخ الهوية الإسلامية، والاعتزازِ بهذا الدين، يجلّي القرآن حقيقة الكفار الذين أعرضوا عن هذا الدين، فشبّههم بأنهم كالأنعام، بل هم أضل، كما قال خالقهم وخالقُ المسلمين: (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: ٤٤].

"لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتنقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم" (١٩)

فإذا تبينت للمسلم أن حقيقة هؤلاء هي كما وصفهم الله في علاقتهم بالآخرة، وتعلّقهم بالدنيا، فهل يرضى المسلم بأن يكون كالبهيمة؟

وهذا لا يعني عدم الإفادة من مخترعاتهم، ولا تجاربهم في عمارة الدنيا، وإنما الشأن في أمر الآخرة، التي هم عنها غافلون.

٥- وفي سبيل ترسيخ الهوية الإسلامية: جاءت النصوص بالحث على لزوم جماعة المسلمين، والحذر من التفرق، فإن الاجتماع قوة، والتفرق ضعف، ولأن الانفراد عنهم، أو الارتماء في أحضان الكفار، مظنّة ذوبان الهوية الإسلامية، وهذا ما تؤكده الدراسات الاجتماعية، أن الجيل الثالث من أبناء المهاجرين يتماهى ويذوب في نفس عادات وتقاليد ذلك المجتمع، سواء كان صالحاً أم طالحاً! ومن سافر لبلاد الغرب، أدرك ذلك بنفسه، ورأى شدة معاناة المسلمين مع أبنائهم وسط تلك البيئات التي يُعلنُ فيها بالفسق والفجور.

٦- ومما يقوّي الاعتزاز بالهويّة الإسلامية: العناية بلغة القرآن، التي نزلت بها الشريعة.

ولقد كان أعداء المسلمين يدركون ماذا يعني أن تبقى اللغة العربية هي اللغة الحيّة بين أبناء المسلمين، إنها تعني القدرة على الارتباط بالقرآن والسنة، مصدر عزهم وقوتهم المعنوية،

---

(١٩) تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٤).

فعملوا في حركاتهم الاحتلالية لبلاد الإسلام -التي تسمى زوراً بالاستعمار-، عمدوا إلى طمس لغة القرآن، وإحلال اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها حسب لغة المحتلّ للبلد! لينشأ جيل لا يستطيع قراءة القرآن والسنّة.

بل ذهب المحتلّون إلى ما هو أبعد من ذلك -وخصوصاً إبان الحكم الشيوعي- وذلك بمنع الأسماء الإسلامية، كلّ ذلك محاولةً منهم لطمس أي معْلمٍ للهوية الإسلامية في نفوس أبناء المسلمين ولو بمجرد الاسم.

فهل يعي شباب الأمة وفتياتهم، ماذا يعني اهتمامنا بلغة القرآن والاعتزازُ بها؟ إنها أكبر من مجرد لغة؟ إنها شعار الإسلام وأهله.

وإنك لتعجب من عربيّ يهجر لغته ويفتخر بإتقانه لعدد من الأحرف الإنجليزية، وفي المقابل يجد عشرات المعاهد والكليات في بلاد المسلمين الأعجمية التي تُعَلّم لغة القرآن!

قال ابن تيمية رحمه الله مبيّناً فضل الفاتحين من المسلمين في تعليم اللغة العربية لأهل البلاد التي فتحوها-: "ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر ولغةُ أهلهما رومية وأرضَ العراق وخراسان -ولغة أهلهما فارسية- وأرضَ المغرب -ولغة أهلها بربرية- عوّدوا أهل هذه البلاد العربية، حتى غلبت على أهل هذه الأمصار: مسلمهم وكافرهم...، إلى أن قال: وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب" ا. هـ (٢٠)

من طرق المحافظة على هويتنا الإسلامية

العمل على توحيد فكر الأمة، وخلق التآلف والتعارف بينها ، والتركيز على معاني التراحم والأخوة، وعدم التشهير وتتبع السقطات بين إعلام دول العالم الإسلامي. والدفاع عن مقدسات

(٢٠) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٥٢٦).

الأمة، وربط قضايا العصر بالعقيدة. ومواجهة الحملات المعادية التي تهدف لتشويه صورة الإسلام. نشر صورة الإسلام السمحة في الدول غير المسلمة. (٢١)

احتضان تراث الأمة الإسلامية

التراث هو هويةُ الأمة التي تشكلت من خلالها، وجذورُها التي تمتح منها أسباب الحياة؛ فلا يمكن لأمة أن تستعيد ماضيها الذي تفخر به ولا أن تبني مستقبلها الذي تؤمله، وهي في حالة انقطاع حضاري عن تراثها. (٢٢)

ونعني بـ "احتضان التراث" هنا أربع خطوات أساسية:

١- الاعتزاز به، وعدم الخجل من إعلان ذلك.

٢- استيعابه بكل أبعاده ومنجزاته، في مختلف العلوم والمجالات.

٣- غربلته وتحديد الثابت فيه من المتغير، والأصول من الفروع، والصحيح من السقيم.

٤- الإفادة منه والبناء عليه، واستصحابه وعدم الوقوف عنده. فالمسلم المعاصر ينبغي أن يتصل اتصالاً وثيقًا بتراثه؛ لغة وفكرًا وأدبًا؛ لأنه إن استجاب لمحاولات فصله عن هذا التراث، فلن يكون إلا مسخًا مشوَّهًا من تجارب الآخرين، ولن يفلح في إنجاز أي نهوض! ومازال تراثنا قادرًا على العطاء، وسيظل ما كان متصلاً بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية؛ فهما مصدر التلقي والتوجيه للمسلم على اختلاف الزمان والمكان. وبقدر اتصال تراثنا بهذا المنبع تكون أهميته في حياتنا الراهنة. ولذا، نحن بحاجة لعين مبصرة تميِّز وتفحص وتغربل؛ لنستبقي من هذا التراث ما يصح أن يكون زادًا لحاضرنا ومستقبلنا، وهو يقينًا كثير جدًّا.. دون أن ننجرف وراء دعاوى إهالة التراب على التراث؛ بزعم أنه ينتمي للماضي، وأن الزمان تجاوزه!

كيف يعتز المرء بدِينه في بلاد غير المسلمين ؟

إذا كان المسلم في بلاد غير المسلمين، فكيف يعتز بدينه أمامهم، دون أن يحتقرهم، أو يتكبر عليهم؟ وكيف يعتز بدينه، ويحسن التعامل مع غير المسلمين؟

---

(٢١) كيفية الحفاظ على الهوية الإسلامية من الضياع ، موضوع.

(٢٢) ثلاثُ مهام مطلوبة من المسلم المعاصر، السنوسي محمد السنوسي ، إسلام أون لاين .

إن حقيقة العزة الشرعية المحمودة: هي العزة التي ترتبط بالله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيعتز المرء بدِينه، ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فهو لا يريق ماء وجهه، ولا يبذل عرضه فيما يدنسه، فيبقى موفور الكرامة، مرتاح الضمير، مرفوع الرأس، سالمًا من ألم الهوان، متحررًا من رِق الأهواء، ومن ذل الطمع، لا يسير إلا وفق ما يمليه عليه إيمانه، والحق الذي يحمله ويدعو إليه.

المؤمن قوي في كل حالاته، مستعل في كل حالاته: (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

وتلك سمة من سماته، إنه لا يستعلي في السراء كبرًا وانتفاشًا كاذبًا، وفرحًا في الساعة الرخاء، كلا، فما هذا استعلاء؛ وإنما هو كبر وغرور، لا يحبهما الإسلام، (وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ)، (وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)، دعوة إلى التواضع، والقصد، والاعتدال، إنما الاستعلاء الحقيقي هو الاعتزاز بالله، والاعتزاز بالنفس، وصيانتها عن كل مذلة لغير الله، وكل دنس يصيبها، وكل خضوع لما يملك الإنسان دفعه من الأذى والضرورات، ومن ثم؛ فهو غير مقتصر على ساعات النصر، والغلبة، والرخاء.

فالتوجيه في الآية للمؤمنين بأنهم الأعلون، كان على إثر الهزيمة في المعركة، وغلبة الكفار، (وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)، فهم الأعلون حتى وهم منكسرون في الحرب، بل هم الأعلون منذ أول لحظة يدخل الإيمان في قلوبهم، وعدوهم ظاهر في الأرض، ومستحوذ على كل نصيب.

هذا الاستعلاء من أبرز سمات الإنسان المؤمن وهو الإنسان الصالح يصاحبه في كل موقف من مواقف حياته، فيملي عليه السلوك الذي ينبغي عليه أن يسلكه.

هو في وجه الظلم والعدوان مستعل، ولو كان في موقف الهزيمة؛ لأنه لا يستمد استعلاءه من النصر، فتفقده الهزيمة إياه، وإنما يستمده من الإيمان بالله، والاتصال به، ومن ثم؛ لا يفقده في الهزيمة، ويسترده في النصر، بل هو كامن في داخل نفسه، مصاحب لها في كل حال.

هو في وجه المغريات مستعل، ولو كان في حاجة؛ لأنه لا ينبغي له وهو المؤمن المتصل بالله أن يحيد عن منهج الله، ويخالف عن دستوره، من أجل كسب مهما يكن من عظمه، فهو حقير،

ومهما يكن من كثرته، فهو زائل، ويبقى الله، وحساب الله، (وَلا تَمُدَّنَ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى).

وهو في وجه الشهوات مستعل، ولو أحس بلذعها في أعصابه؛ لأنه وهو المؤمن المتصل بالله أكرم عند الله، وعند نفسه من أن يذل لشهوة تدنسه، وتمرغه في الوحل، من أجل متعة عابرة لن تغنيه، وسيجد أطيب منها في الحلال، ويجد أطيب منها دائمًا عند الله، (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ).

وهو في وجه القيم الزائفة مستعل؛ لأنه يملك القيم الحقيقية المستمدة من الله، ومنهج الله، فلا تزلزله قيم زائفة من صنع البشر، لا ترفع ولا تخفض إلا في ظاهر الأمر، ولا يمكن أن تفرض نفسها على مشاعر المستعز بالله، والمستعز بنفسه وقيمه؛ لأنها لا تساوي شيئًا في ميزانه، ولا تغير حقائق الأشياء.

والمستعلي على هذا النحو، لا يصعّر خَدّه للناس، ولا يمشي في الأرض مرحًا، فذلك صغار هو يستعلي عنه، إنما يحترمه الناس، ويقدرونه من تلقاء أنفسهم؛ لأنهم يحسون أن بداخله "حقيقة" صلبة، لا خواء، ولا نفخة فارغة، نعم، هو في استعلائه لا يحتقر الناس، فليس من سمات الإنسان المؤمن وهو الإنسان الصالح أن يحتقر الآخرين.. إلا أن يكونوا ينالونه بالأذى، فهو يرد عن نفسه بأن يظهر لهم الاحتقار، وإذا كان الله قد صرح للمظلوم أن يجهر بالسوء من القول، وهو لا يحبه، (لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ)، فهو كذلك يبيح رد عدوان الحقراء باحتقارهم، وإظهار الاستعلاء عليهم.

وأما مظاهر الاعتزاز بالدين في بلاد غير المسلمين:

فمن أجلاها: التمسك بشعائر الإسلام، والتحلي بآدابه، وإظهار تعاليمه، والدعوة إليه، وبثه ونشره، والمنافحة عنه، وعدم التحرج أو التواري بتشريعات الدين الحنيف التي لا تروق لغير المسلمين، وكل هذه المظاهر الحميدة، لا علاقة لها بالتكبر، أو نحوه من الأخلاق الذميمة.

مفهوم الاعتزاز بالإسلام ومظاهره

الاعتزاز صفة نابعة من كون المسلم محبًا لدينه، يعتنقه عن كامل قناعة وحجج وبراهين، لا من كونه تراثًا وتقليدًا أخذه عن والديه، ولا تكون هذه الصفة وهذه المزية عند من يتهافتون على متاع الدنيا وزينتها، فهي مزية من يشرون الحياة الدنيا بالأخرة، فيذوقون باعتزازهم بدينهم حلاوة الإيمان، ويترتب على اعتزاز المسلم بدينه عدة مقتضيات، من ذلك التضحية في سبيل هذا الدين، وتقديمه على كل أولوية.

وخير وسيلة لبناء هذا المفهوم في النفس المسلمة، بأن تربّى فيها بدايةً على العقيدة الصحيحة، وأن يغرز فيها مفهوم التأدب مع الشريعة، والافتخار بما لهذه الامّة من تاريخ والتركيز على ما فيه من مواطن عبر واعتزاز، وسرد سير عظماء الأمة الإسلامية، فما برعوا وبرزوا في الإسلام، إلّا باتّخاذهم الإسلام مصدر عزّة وفخر.

مظاهر الاعتزاز بالإسلام

للعزة عدة مظاهر تتجلى بتطبيقها في حياة المسلم، كما يأتي:

الاعتزاز بالله تعالى: فلله العزة جميعها، وتتجلى هنا العزة بيقينه بأنّ عزة الله تعالى هي مصدر عزّة المؤمن، وقوّته، ونصره، وبأن الالتزام بما أمر الله لا يورث إلا فخرًا وعزًا من الله تعالى.

الاعتزاز باعتناق الدين الإسلامي: فتنبع هنا العزة من اليقين بأن الإسلام دين عزة وقوة، فلا يخنع ولا يخضع تحت مبدأ التسامح والعفو، إذا ما عرض له موقف ينتقص من قيمة الإسلام والمسلمين.

الاعتزاز بإظهار العزّة على الكفار، وإظهار التذلل للمؤمنين: وتكون هنا بأن يري المؤمن نفسه بأنّه قوي وعزيز بالله تعالى وبما يعتنقه من مبادئ، مع مراعاة ألا يتحوّل ذلك للتكبر، ومع الحرص بأن لا يشمل المؤمنين بهذا الأمر، فيتعامل معهم برفق ولين جانب وبسماحة الإسلام.

مواقف من اعتزاز الصحابة بالإسلام

جيل الصحابة هم أكثر جيل تتجلى فيهم صفة العزة، فنذكر من عزتهم بدينهم بعض الأمثلة، وهي ما يأتي:

موقف عمر بن الخطّاب عند خروجه إلى الشام عندما خرج عمر بن الخطاب لبلاد الشام مع الصحابي أبو عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنهما، أتوا على مخاضة، وكان عمر على ناقته، فخلع عمر خفّه، ووضعها على كتفه، وأخذ بزمام ناقته، وقام بالسير على المخاضة، فتعجّب أبو عبيدة من فعل أمير المؤمنين، ولم يعجبه ما فعله خشية أن يراه أهل البلد، فما كان من عمر بن الخطاب إلّا أن أجاب بمقولته الشهيرة: "إنَّا كنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العِزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله".

موقف أسامة بن زيد مع حُلّة حكيم بن حزام وذلك عندما أُعطى حكيم بن حزام حلّة لذي يزن، لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان حينها كافرًا، فرفضها رسول الله كهدية، لرفضه الهدايا من الكفار، فقام بأخذها مقابل ثمن، وبعد حين من الوقت أعطاها رسول الله لأسامة بن زيد، فحين رآها حكيم استنكر متعجّبًا، بأنّه يلبس حلّة ذي يزن، فما كان من أسامة إلا بأن يجيب بأنه خير من ذي يزن وخير من أبيه، وهو هنا ظهرت عزته، ليس من كبر واستعلاء، إنما من افتخار بكونه على دين الحق.

موقف مفاوضة قبيلة غطفان للنبي وذلك حين فاوضوا رسول الله في يوم الاحزاب على أن يعطيهم نصف ثمر المدينة المنورة مقابل انسحابهم من صف الأحزاب، فاستشار رسول الله أصحابه، فما كان منهم إلا أن رفضوا، فلا يأخذون من ثمر المدينة شيئًا إلا بثمن أو بضيافة منهم، وليس ذلًّا وخوفًا منهم.

الاعتزاز بالإسلام

الإسلام هو الدين القيم الذي فيه صلاح البلاد والعباد، وهو أعظم المنن التي منّ بها الكريم الوهاب، وقد تكفل الله لمن سلكه بسعادة الدنيا والآخرة، فيه المبادئ السامية، والأخلاق العالية، والنظم العادلة. إنه الدين الذي ينبغي لنا أن نفتخر به، وأن نتشرف بالانتساب إليه، فمن لم يتشرف بهذا الدين ويفخر به ففي قلبه شك وقِلة يقين. إن الحق يخاطب حبيبه قائلاً: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [الزخرف:٤٤]. أي: شرف لك وشرف لقومك وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة.

ومما زادني شرفاً وتيهاً وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبياً

إن الشرف أن تكون من عباد الله الصالحين، وأن تعمل الصالحات وتجتنب المحرمات.

إن الشرف أن تدعو لهذا الدين، وأن تتبع سنة خير المرسلين، لقد أدرك سلفنا الأول عظمة هذا الدين، فقدموا أنفسهم وأموالهم رخيصة لهذا الدين. لقد كان الإسلام هو شرفهم الأول وغاية آمالهم،

١- عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه الذي يقول له النبي: (مرحباً بالذي عاتبني فيه ربي)

لما أتى داعي الجهاد في سبيل الله، وارتفعت راية الإسلام، ونادى النفير للجهاد، فيقول له الصحابة: إنك معذور، أنت أعمى، وذلك لقوله تعالى:(لَّيْسَ عَلَى الأعمى حرج) [الفتح:١٧]. فيجيبهم: لا والله، والله يقول: (ٱنْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً) [التوبة:٤١].

فلما حضرت المعركة أعطوه الراية، وقالوا: إياك أن نؤتى من قبلك فقال رضي الله عنه: بئس حامل القرآن إن أتيتم من قبلي، فوقف مكانه حتى قتل، فكان قبره تحت قدميه رضي الله عنه وأرضاه. وكان يتمنى الجهاد غير أن فقدانه للبصر كان يمنعه من ذلك ثم تحقق له ما يطلبه في معركة القادسية التي حدثت على أرض الفرس سنة ١٥ هـ في عهد عمر بن الخطاب وكان عبد الله حامل لواء المسلمين فيها وسقط فيمن سقط من الشهداء على أرض المعركة.

٢- قصة جليبيب وهذا فارس آخر من فرسان الإسلام العظام، الذين تربوا على يد محمد، فقدموا للبشرية الشرف العظيم في انتمائهم للإسلام وتشرفهم به، إنه جليبيب رضي الله عنه، ذلك الصحابي الذي لم يكن يملك من الدنيا إلا الإيمان الذي ملأ قلبه، فأضاء له الدنيا.

جاء جليبيب إلى رسول الله، فتبسم عليه الصلاة والسلام لما رآه، وقال: (يا جليبيب أتريد الزواج)؟ فقال: يا رسول الله، من يزوجني ولا أسرة عندي ولا مال ولا دار ولا شيء من متاع الدنيا؟! فقال عليه الصلاة والسلام: (اذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار، فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني)، فذهب وطرق عليهم الباب، فخرج رب البيت، ورأى جليبيباً، فقال له: ماذا تريد؟ فأخبره الخبر، فعاد إلى زوجته، فشاورها، ثم قالوا:

ليته غير جليبيب، لا نسب ولا مال ولا دار، فشاروا الفتاة، فقالت: وهل نرد رسول رسول الله فتزوج بها.

وحضر النبي غزوة من الغزوات، فلما كتب لهم النصر قال النبي لأصحابه: (هل تفقدون من أحد)؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً، ثم قال: (لكني أفقد جليبيباً، فاطلبوه)، فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي فوقف عليه، فقال: (قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه)، ثم وضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي، ثم حفر له ووضع في قبره. رواه مسلم.

فانظروا إلى هذا الرجل الذي يفتخر به النبي، ويضع ساعده الشريف وسادة له حتى يحفر له القبر إكراماً له، مع أنه من الفقراء في المال، لكنه من الأعزاء بالإسلام المتشرفين بالانتساب له.

إنهم عظماء؛ لأنهم عاشوا في كنف محمد.

٣- قصة عمر رضي الله عنه حينما خرج إلى القدس ليتسلم مفاتيح بيت المقدس يخرج عمر على حاله المعروفة، فيستعرض الجيش الإسلامي العظيم، ويقول قولته المشهورة: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله. ثم يقترب من أبي عبيدة فيعانقه، ويبكي طويلاً، فيقول عمر: يا أبا عبيدة، كيف بنا إذا سألنا الله يوم القيامة ماذا فعلنا بعد رسولنا؟ فيقول أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، تعالى نتباكى، ولا يرانا الناس، فانحرفا عن الطريق والجيوش تنظر إليهما، فاتجها إلى شجرة، ثم بكيا طويلاً رضوان الله عليهم أجمعين.

ترى هل سأل أحد منا نفسه ماذا فعلنا بعد رسول الله؟ هل حافظنا على سنته؟ هل اتبعنا ملته؟ ألم نفرط أو نضيع؟ ومع ذلك لا نرى فينا باكياً.

اللهم إنا نشكو إليك قسوة قلوبنا، فارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

لقد عرف سلفنا رضوان الله عليهم أن الحياة إنما تصرف في مرضاة الله وطاعته، وأن عزهم في دينهم وتمسكهم به، وأن ارتباطهم إنما هو بالله الواحد الأحد.

٤- حج هشام بن عبد الملك، فلما كان في الطواف رأى سالم بن عبد الله وهو يطوف وحذاؤه في يديه، وعليه ثياب لا تساوي ثلاثة عشر درهماً، فقال له هشام: يا سالم، أتريد حاجة

أقضيها لك؟ قال سالم: أما تستحي من الله، تعرض عليّ الحوائج وأنا في بيت من لا يُعوز إلى غيره؟! فسكت هشام، فلما خرجا من الحرم قال له: هل تريد شيئاً؟ قال سالم: أمن حوائج الدنيا أو الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا. فقال سالم: والله الذي لا إله إلا هو ما سألت حوائج الدنيا من الذي يملكها تبارك وتعالى، فكيف أسألها منك؟

إنه الإيمان الذي ربى القلوب على التعلق بالله والنزول في حماه والالتجاء إليه والاعتصام به.

٥- هذه نماذج رائعة أذكرها لكم لكي يكون لنا فيها الأسوة والقدوة في التشرف بالإسلام، والاعتزاز به، والاعتماد على الله، والتوكل عليه، والسير على نهجه، والالتزام بسنة نبيه، فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا الإسلام حق المعرفة، واسلكوا طريقه تفلحوا وتسعدوا.

٦- لكي ينشأ أبناؤنا على تعاليم الإسلام وشرائعه، يجب علينا أن نعظم شعائر الله في قلوبهم، يجب أن نربي أبناءنا على تعظيم الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأن نشعرهم بأن الخير من الله، ولا يدفع الشر سواه، وأن أمورنا إنما تكون بأمره سبحانه، فهو المتصرف كيف يشاء، وأن ننزل حاجاتنا به فهو المؤمل سبحانه، يأكل باسم الله، يخرج متوكلاً على الله، يدرس ابتغاء مرضاة الله.

كما يجب أن نعظم في قلوبهم القرآن الكريم حفظاً وتلاوة، ونشعرهم بعظمة هذا القرآن وما فيه من خير وسعادة. ومما يجب أن يعظم في نفوسهم حب رسول الله، وذكر سيرته وجهاده ورحمته وشفقته وشفاعته وإحسانه، وأنه الرحمة المهداة، وذلك بكثرة الصلاة والسلام عليه، وتقديم حبه على كل شيء.

إن المسئولية في هذا ملقاة على عواتق أولياء الأمور، فليتقوا الله في ذلك، وليحسنوا التربية حتى تخرج الثمار المباركة. اللهم وفقهم لما تحبه وترضى.

أساليب طمس الهوية الإسلامية

أولاً: إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان: لأن العقيدة هي خط الدفاع الأول، ومن وسائل ذلك: زرع الصراعات الفكرية التي تشوش الأفكار، وتشتت الأذهان عن طريق بعث الفلسفات

المضادة للتوحيد، وإحياء التصوف الفلسفي، ونشر تراث الفرق الضالة كالباطنية والمعتزلة والرافضة، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة، وهز الثقة في السلف الصالح، والتركيز على عرض ما يناقض التوحيد بصورة تغري بالإلحاد، كنظرية "داروين"، وتاريخ الأمم الوثنية كالفراعنة وغيرهم، دون أي نقد، لا: "لِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المجْرِمِينَ" [الأنعام: ٥٥]، ولكن لننبهر ونفخر بسبيل المجرمين. (٢٣)

ثانياً: "تسميم الآبار المعرفية" : التي تستقي منها الأجيال من المهد إلى اللحد ، ومحاولة مسخ الهوية الإسلامية عن طريق تخريب مناهج التعليم بكافة مراحله، وهذه أخطر مؤامرة ضد الهوية في الوقت الراهن ، ويسمونها بكل صراحة: "تجفيف منابع الإسلام"!! ، وهي مؤامرة لا تبدأ اليوم ، ولكن منذ أكثر من قرن، ولا تبدأ من الصفر، ولكن تُستمد من معين المنطلقات التي صنعها الاستعمار والاستشراق والتبشير، ويكفي أن القس "دنلوب" تمكن في عشرين عاماً فقط من تخريب العقول والنفوس والضمائر والعواطف من خلال سياسته التعليمية، بصورة ما كانت تحلم بريطانيا بتحقيق ربعها لو جندت في سبيل ذلك مليون جندي بريطاني.

قال "كرومَر" رائدَ التغريب في مصر :

"إن الحقيقة أن الشباب المصري الذي قد دخل في طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلاميته، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، إنه يتجرد عن عقيدة دينه الأساسية" انتهى.

وقال المستشرق " جب ": " والسبيل الحقيق للحكم على مدى التغريب هو أن نتبين إلى أي حدٍّ يجري التعليم على الأسلوب الغربي ، وعلى المبادئ الغربية ، وعلى التفكير الغربي ... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره ، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي ، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين ، وقليل من الزعماء الدينيين " انتهى.

(٢٣) هويتنا أو الهاوية ، إسماعيل المقدم.

إن التعليم الغربي اللاديني هو " الحامض " الذي يذيب شخصية المسلم ، إنه ليس من المعقول ولا من الجائز أن تستورد أمة_ لها شخصيتها ورسالتها ، ولها عقائدها ومناهج حياتها ، ولها طبيعتها ونفسيتها ، ولها تاريخها وماضيها ، ولها محيطها الخاص وظروفها الخاصة_ نظاماً تعليمياً من الخارج ، ولا أن تكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال وصياغة العقول إلى أناس لا يؤمنون بهذه الأسس والقواعد ، ولا يتحمسون لنشرها والذبَّ عنها .

ثالثاً: تذويب الهوية الإسلامية في الثقافة الغربية: لاعن طريق القهر كما حدث في الماضي ، ولكن عن طريق اصطناع عملاء مأجورين يبيعون كل شيء إرضاءً لسادتهم ، وعن طريق محو ذاكرة الأمة وارتباطها بتاريخها المجيد الذي هو خميرة المستقبل ، وتمجيد كل ما هو غربي ، وتحقير كل ما هو إسلامي ، ومزاحمة رموز الإسلام برموز ضلالات التنوير والحداثة والعصرانية ، وعرض أنماط الحياة الاجتماعية في الغرب بكل مباذلها وسوءاتها بصورة جذابة ومغرية.

قال المستشرق شاتليه: " إذا أردتم أن تغزوا الإسلام ، وتخضدوا شوكته ، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها ، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم ، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم ، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية ، بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم وكتابهم القرآن ، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم ، ونشر روح الإباحية وتوفير عوامل الهدم المعنوي ، وحتى لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج والبسطاء لكفانا ذلك ، لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها " انتهى .

رابعاً: تجهيل العلم : بحيث يفقد صلته بالخالق سبحانه ودلالته على توحيده ، فإن العلم أقوى مؤيد لدعوة الفطرة والتوحيد ، بما يكشف عنه من آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ، وفي سبيل ذلك يعمدون إلى تجاهل ذكر الله عز وجل ، ونسبة الآيات الكونية إلى الطبيعة ، ومحاولة عزو أحداث الكون إلى الظواهر الطبيعية دون ربطها بمشيئة الله وقدرته عز وجل .

خامساً: السيطرة العالمانية : على كراسي الجامعات ، وتطعيم مناهجها الدراسية وكذا دوائر المعارف وكتب التاريخ بمفاهيم تدور في فلك الغرب ، وتعادي وتشوه الهوية الإسلامية .

سادساً : التآمر على اللغة العربية : شدة ارتباطها بالقرآن والإسلام، وأثرها في وحدة الأمة، وذلك عن طريق تشجيع اللهجات العامية، والمطالبة بكتابتها بالحروف اللاتينية، وتشجيع اللغات الأجنبية على حساب لغة القرآن الكريم، وتطعيم القواميس العربية بمفاهيم منحرفة كقاموس "المنجد"، والطعن في كفاءة اللغة العربية وقدرتها على مواكبة التطور العلمي.

وإذا كانت "الثقافة" هي مجموع القيم التي ارتضتها الجماعة لنفسها، لتميزها عن غيرها من الجماعات، فإن اللغة هي وعاء الثقافة، ومظهرها الخارجي الذي يميزها.

إن لغتنا ليست لغة قومية، لكنها لغة دينية تجمع حولها المسلمين جميعاً عرباً وعجماً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" اهـ.

وقال المرتضي: "من أبغض اللسان العربي أدّاه بغضه إلى بغض القرآن وسنة الرسول لله، وذلك كفر صراح، وهو الشقاء الباقي، نسأل الله العفو" اهـ.

إن للغة دوراً خطيراً في توحيد الأمة، وهاك مثالين يوضحان ذلك :

الأول: "إيرلندا" التي رزحت تحت الاحتلال الإنكليزي منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وذاقت منه الويلات، خصوصاً على يد "كروميل" الذي أعمل السيف في رقاب الإيرلنديين، وشحن عشرين ألفاً من شبابهم وباعهم عبيداً في "أمريكا"، ونفى أربعين ألفاً خارج البلاد، وتمكن من طمس هويتهم بمحو لغتهم الإيرلندية، وتذويبهم في المجتمع البريطاني.

ولما حاول بعض الإيرلنديين الوطنيين بعث أمتهم من جديد أدركوا أن هذا لا يتم ما دامت لغتهم هي "الإنكليزية"، وما دام شعبهم يجهل لغته التي تميز هويته، وتحقق وحدته.

وأسعفهم القدر بمعلّم يتقن لغة الآباء والأجداد؛ دفعه شعوره بواجبه إلى وضع الكتب التي تقرب اللغة الإيرلندية إلى مواطنيه، فهبوا يساعدونه في مهمته حتى انبعثت من رقادها،

وشاعت، وصارت ‘‘النواة’’ التي تجمع حولها الشعب، فنال استقلاله، واستعاد هويته، وكافأ الشعب ذلك المعلم بانتخابه أول رئيس لجمهورية ‘‘إيرلندا’’ المستقلة ـ هو الرئيس ‘‘ديفاليرا’’.

الثاني: ‘‘ألمانيا’’ التي كانت مقاطعات متفرقة متنابذة، إلى أن هبّ ‘‘هَرْدِر’’ الأديب الألماني الشهير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ينادي بأن ‘‘اللغة’’ هي الأساس الذي يوحّد الشعوب، والنواة التي تؤلف بينها، فانطلق الأدباء يعكفون على تراثهم القديم أيام كانوا أمة واحدة، وقاموا بإنعاش تراثهم الأدبي، ونسجوا حوله قصصاً وبطولات خلبت ألباب الشباب، وتغنوا بجمال بلادهم، وأمجاد أسلافهم، فتجمعت عواطفهم على حب الوطن الكبير، وتطلعت نفوسهم إلى الانضواء تحت لواء ‘‘هوية ألمانية’’ واحدة، الأمر الذي مهّد الطريق أمام ‘‘بسمارك’’ لتعبئة الشعور القومي، وتوحيد ألمانيا، وإقامة ‘‘الإمبراطورية الألمانية’’ التي كان ‘‘بسمارك’’ أول رئيس وزارة ‘‘مستشار’’ لها.

إذا علمت هذا فأسمع وتعجب من المستشرق الألماني "كامفاير " وهو يقول في شماتة:

" إن تركيا منذ حين لم تعد بلداً إسلامياً ، فالدين لا يُدرس في مدارسها ، وليس مسموحاً بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس ، وإن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية " أنتهى.

سابعاً: الاهتمام المبالغ فيه بإحياء الأساطير الوثنية والخرافات الشركية:

والتنقيب عن الحفريات والآثار الوثنية التي تبرز الهوية الفرعونية، أو الفينيقية، أو الفارسية، أو الكلدانية ، وتسليط الضوء عليها لردها إلى الحياة ، وربطها بالحاضر، بصورة تزاحم، بل تتعارض مع الانتماء الإسلامي لأن هذا التراث مهما يكن ، فإن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، وإذا كان دين الحق قد نسخ كل دين قبله ولو كان أصله سماوياً فكيف لا ينسخ الأديان الوثنية ؟

إن اعتناق أي أمة للإسلام يشكل فاصلاً عقيدياً وحاجزاً فكرياً بين ماضي وثني ، وبين حاضر ومستقبل مشرق بنور الفطرة والتوحيد ، وهذه الهويات قضى عليها الإسلام حين صهرها في بوتقة الوحدة الإسلامية ، وما أكثر ما تُسخَّر هذه الآثار في دعم النعرات الإقليمية لكل قطر ، واستعلائه بآثاره " وأحجاره " الخاصة ، وفي ذلك أعظم الخطر على الهوية الإسلامية .

ويقول المستشرق " جب " في كتابه ‘‘وجهة الإسلام’’:

" وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الإسلامي : تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن ، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي أندونيسيا ، وفي العراق وفي إيران وقد تكون أهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لأوروبا ، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها "انتهى’’ص٣٤٢’’.

ثامناً: طمس المعالم التاريخية، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة.

وتكشف أن التوحيد هو الأصل وأن الشرك طرأ عليه، وكذا الوثائق التي تثبت التحريف في كتب أهل الكتاب، والتي تدعم الإسلام وتؤيده.

ويجدر بالذكر هنا أن نشير إلى مؤامرة تزييف تاريخ ‘‘الإبراهيمية الحنيفية’’ التي هي جذر الإسلام، وذلك عن طريق نشر فكرة ‘‘السامية’’ التي تركز على القول، بأن هناك أصلاً واحداً مشتركاً بين العرب واليهود، هو ‘‘سام بن نوح’’، في حين أن القصد الحقيقي من ورائها هو التعمية على انتساب العرب إلى إسماعيل بن إبراهيم ـ عليهما السلام ـ وعزو تاريخ إسماعيل وذريته إلى مصدر غامض ليس له سند علمي ، وبالتالي صرف الأنظار عن هويتنا الحقيقية التي هي ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ التي أولاها القرآن الكريم أعظم الاهتمام ونسبنا إليها، وحثّنا على اتباعها وبرّأ ـ إبراهيم عليه السلام ـ من كونه يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً.

تاسعاً: محاولة تفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً قومياً عربياً.

كما يفعل البعثيون الذين يريدون أن يبتلعوا الإسلام في بطن قوميتهم حين يزعمون أن الإسلام مرحلة في تاريخ العروبة ، أو محاولة تصوير التاريخ الإسلامي على أنه تاريخ صراع بين الطبقات " على الطريقة الماركسية " ، أو أنه تاريخ صراع ومناورات بين الأمراء والخلفاء والملوك .

إن الهدف من ذلك كله واضح ، وهو الحيلولة بين الأمة المسلمة وبين أتخاذ تاريخها الحقيقي منطلقاً للنهوض من كبوتها ، وإن المنهج الصحيح المثمر في فهم التاريخ البشري هو

النظر إليه على أنه تاريخ دين سماوي واحد هو الإسلام ، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ، وهو تاريخ الرسالات السماوية المتعددة الداعية إلى دين سماوي واحد هو الإسلام بمعناه العام .

عاشراً: طمس المعالم التاريخية التي تؤكد الانتماء الإسلامي.

كما فعل النصارى في الفردوس المفقود: "الأندلس"، وكما فعل "أتاتورك" في تركيا؛ حينما حوّل مسجد "أيا صوفيا" إلى مُتْحَفٍ وبيت للأوثان، وطمس منه آيات القرآن والأحاديث، وأعاد كشف ما كان الفاتحون قد طمسوه من الصور التي زعمها النصارى للملائكة، وكذا صور من يسمونهم القديسين، والصلبان، والنقوش النصرانية.

وكما فعلت الوحوش الصربية في البوسنة، حيث كانت تختار ـ بعناية ـ المواريث الرمزية والتاريخية الإسلامية ، ثم يتم قصفها وتدمرها، لتجريد الذاكرة الجماعية لشعب البوسنة من رموز الهوية الإسلامية ومعالم حضارتها.

وكما يفعل اليهود ـ لعنهم الله ـ في القدس وغيرها من مناطق فلسطين السليبة.

حادي عشر: النشاط التنصيري الذي يستغل الفقر والمرض .

كما حدث ويحدث في إندونيسيا ، وكما كان يحدث في المدارس الأجنبية، من دعوة صريحة للتنصر، وإن كان تم تطوير أساليبهم الآن بحيث تكتفي بقطع صلة التلاميذ بالإسلام، وتذويب هويتهم الإسلامية وصبغهم بصبغة غربية، تمهيداً لاعتلائهم مراكز التأثير في المجتمع في المستقبل، وقد قال عميد المبشرين يوماً: "المبشر الأول هو المدرسة".

ثاني عشر: استلاب الهوية الإسلامية وتشتيتها .

عن طريق ضربها بهويات أخرى قومية أو وطنية، وكذلك تشجيع النعرات الطائفية والقبلية الاستقلالية، لتسخيرها لتكون عوامل إثارة وقلقلة لضرب وحدة المجتمع المسلم، وإثارة البلابل والفتن.

ثالث عشر: الترويج لدعوة " العولمة " .

أي: توحيد الثقافة العالمية ، وهو قناع تختفي تحته فكرة " تسويد " الثقافة الغربية ، التي كان يُعَبَّر عنها في عهد الاستعمار بـ" رسالة الرجل الأبيض إلى العالم الملون " وتهدف "العالمية" إلى تذويب هوية الأمم ، وتبخير مُثُلِها العليا ، وصهرها في أتونها ، ودمج الفكر الإسلامي واحتوائه في قيم تخالف الإسلام .

رابع عشر: التغريب.

الذي استمر سمة ثقافية بارزة حتى بعد أن اضطر الغرب إلى تقويض خيامه ثم الرحيل عن بلاد المسلمين ، لكن الذي حدث أنه لم يرحل إلا بعد أن أقام وكلاءه حراساً على مصالحه ومقاصده ، لقد رحل الإنكليز الحمر ، وحل محلهم الإنكليز السمر ، وبعبارة " شاهدٍ من أهلها " وهو صاحب كتاب " تغريب العالم " : " لقد أنتقل البيض إلى الكواليس ، لكنهم لا يزالون مخرجي العرض المسرحي ".

خامس عشر: استقطاب المرأة المسلمة، والتغرير بها:

بدعاوى "تحرير المرأة "ومساواتها بالرجل، والترويج لفكرة "القومية النسائية" التي تربط المسلمة باليهودية، والنصرانية، وعابدة الأبقار والأوثان، والملحدة، كأن قضيتهن واحدة! ومعتقداتهن واحدة! ومطالبهن واحدة! ومعركتهن ضد "الرجل" واحدة .

سادس عشر: إشغال المسلمين بالترفيه والشهوات .

ودفع المجتمع إلى السطحية في النظر إلى الحقائق، وذلك بزيادة معدلات تعرضه للإعلام الترفيهي، مع تقليل الزمن المتاح للتأمل والتفكر والتدبر في الأحداث اليومية ، وذلك بتوظيف وسائل الترفيه كآلات الجراحة النفسية المطلوبة لاستبدال الهوية أو مسخها .

سابع عشر: استغلال العامل الاقتصادي في تذويب الهوية .

إن " العطاء " لابد له من مقابل ، وغالباً ما يكون هذا المقابل هو إضعاف العقيدة والتنازل عن الهوية .

ثامن عشر: الحرب النفسية المدعمة بالأساليب التعسفية .

لقمع وإنهاك الدعاة إلى الهوية الإسلامية، وتنحيتهم عن مواقع التأثير الإعلامي والتربوي، وتسليط الحملات التي تصفهم بالتطرف والإرهاب والأصولية، مع تركهم مكشوفين في العراء، عرضة لانتقاد وسخرية أعداء الهوية الإسلامية ، لكيلا يشكل الدين أي مرجعية معتبرة للأمة ، ومثال ذلك القمع البربري المتوحش ، ومحاولة إطفاء نور الإسلام في بعض البلاد الإسلامية .

تاسع عشر: تقسيم الدين إلى قشر ولُب .

وإلى شكليات وجواهر ، وهي دعوة ظاهرها الرحمة ، وباطنها العذاب ، ولذا انخدع بها بعض السذج الذين ابتلعوا الطُعم ، فاستحسنوا ، وصاروا يرجون له ، دون أن يدركوا أنه قناع نفاقي قبيح، وأنها من لحن قول العلمانيين الذين يتخذونها قنطرة يهربون عليها من الالتزام بشرائع الإسلام دون أن يُخدَش انتماؤهم إليه ، نعم تتوقف عند حَسَني النية من المسلمين المخلصين عند نبذ ما أسموه: ''قشراً'' للتركيز على ما دعوه: ''لبّا''، ولكنها عند المنافقين الحريصين على اقتلاع شجرة الإسلام من جذورها ، مجرد مدخل لنبذ اللّب والقشر معاً، تماماً كما يرفعون شعار الاهتمام بـ ''روح النصوص'' وعدم الجمود عند منطوقها ، ومع أن هذا كلام طيب إذا تعاطاه العلماء وطبقه الأسوياء؛ إلا أنه خطير إذا تبناه أصحاب العاهات الفكرية والنفسية والمشوهون عقدياً؛ إذ يكون مقصودهم حينئذ هو إزهاق روح النص بل اطّراح منطوقه ومفهومه، أو توظيفه بعد تحريفه عن مواضعه لخدمة أهدافهم الخبيثة.

إنهم يريدونه ديناً ممسوخاً كدين الكنيسة العاجزة المعزولة عن الحياة ، يسمح لأتباعه بكل شيء مقابل أن يسمحوا له بالبقاء على هامش الحياة ، محبوساً في الأقفاص الصدرية ، لا يترك أي بصمة على واقع الناس ومجتمعاتهم . (٢٤)

انفتاح المسلمين على الآخرين

نحن في العطاء في غاية السهولة، ولكننا في الأخذ لابد أن ندقق، فمن قال: إن المسلمين غير منفتحين على الآخرين، هذا بالنسبة للدعوة إلى الله باطل، وغير صحيح، بل نحن يجب أن ننفتح على الآخرين، ألم تر إلى حال أجدادنا وأسلافنا؟

لقد انفتحوا على فارس والروم بالجهاد في سبيل الله، ففتحوا الشام، والعراق، ومصر، والمغرب، والهند، والسند، لقد سارت فتوحاتهم في آسيا وأفريقيا، وبلغت أوروبا.

لقد انتقلوا حتى إلى الجزر، ينشر تجارهم الدعوة بعد أن انتشرت بالجهاد في سبيل الله.

فحصل انفتاح هائل من المسلمين على الآخرين، دخل أجدادنا تلك البلاد، انفتحوا عليهم، لكن ماذا فعلوا؟

لما فتح النبي ﷺ مكة حطم الأصنام، ثم أرسل في أرجاء الجزيرة من يحطم تلك الأوثان، والآلهة التي تعبد من دون الله، مناة، والعزى.

لقد انفتح المسلمون خارج الجزيرة العربية في البلدان الأخرى، حتى وصلوا إلى ديار بعيدة، وجدوا فيها بيت الصنم الأكبر "سومنات" فحرقوه، وخربوه، ولم يتركوا صنماً يعبد من دون الله، إذا قدروا على إتلافه أتلفوه.

عندما رجع مهاجرة الحبشة، تقول الواحدة منهم للنبي صلى الله عليه وسلم: إنها رأت بأرض الحبشة كنيسة فيها تصاوير؟ هذا انفتاح حصل بسبب الهجرة، انتقال مسلمين من مكان إلى مكان للضرورة، المكان الآخر مكان كفار، ماذا فعل المسلمون بأرض الحبشة؟

---

(٢٤) ينظر: هويتنا أو الهاوية ، إسماعيل المقدم.

حافظوا على أنفسهم، اجتمعوا على قادتهم، كان على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت التوجيهات تأتيهم من النبي ﷺ، وكان هناك رسل بينه وبينهم.

لقد عاشوا في الحبشة سنين لكن ماذا كانوا يفعلون؟ هل ذهبوا في المجتمع الحبشي؟ هل ذهبوا في ذلك الدين النصراني المسيطر هناك؟ كلا.

بل لقد دعوا ملكهم إلى الإسلام فأسلم، أسلم النجاشي، وأسلم بعض من معه، وبقيت الأكثرية على الكفر.

لقد كان الصحابة في غاية المحافظة على أنفسهم وهم جالية لم يذوبوا، ولما رجعوا إلى الرسول ﷺ صاروا يقصون عليه ما رأوا ليصحح لهم، ويبين الأحكام، فتقول له المرأة المسلمة عن كنيسة بأرض الحبشة رأت فيها تصاوير، صور لمريم وعيسى، والنبي ﷺ يصحح: فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). (٢٦)

هؤلاء الذين صوروا صور الصالحين في كنائسهم ووضعوها، صوروا الأنبياء في كنائسهم وعبدوهم من دون الله، وعظموهم، ورفعوهم فوق المنزلة التي أنزلهم الله إياها.

كان المسلمون يدخلون البلاد يرون مراحيض باتجاه القبلة، يقولون: "كنا ننحرف ونستغفر الله" (٢٧)

لقد انفتح أجدادنا لكن كيف تعاملوا مع الموقف؟

يقول الواحد منهم للثاني ناصحاً: إنك بأرض الربا فيها فاشٍ فلا تفعل كذا، ولا كذا، ولا كذا.. يحذره، هذه منطقة فيها ربا منتشر فاحذر من معاملات معينة توقع في الربا.

عندما انفتحوا على تلك الديار هناك أشياء طيبة أخذوها واستفادوا منها، وسنضرب أمثلة، وهنالك أشياء سيئة حاربوها وأنكروها، وقضوا على ما يمكن القضاء عليه منها.

لقد كان الانفتاح على العلوم الدنيوية والاستفادة منها من قبل المسلمين أمراً عظيماً، لقد استفادوا من الذين كانوا يعيشون في بلاد الكفر وعندهم أفكار مفيدة؛ كفكرة حفر الخندق

---

(٢٦) رواه البخاري: برقم ٤٢٧، ومسلم: برقم ٥٢٨.

(٢٧) رواه البخاري: برقم ٣٩٤، ومسلم: برقم ٢٦٤.

التي نقلها سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فما بالك لما ذهبوا إلى تلك البلدان ووجدوا فيها مثلاً الدواوين، فنقلت فكرة الدواوين، وهو نوع من التراتيب الإدارية، فصار للمسلمين ديوان الجند، وديوان..، وديوان.. وهكذا.

ضبط الانفتاح والانغلاق بالضوابط الشرعية

إن مسألة الضوابط في قضية الانفتاح والانغلاق يجب أن تنطلق من الكتاب والسنة، إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه). (٢٨)

إن قضية الانفتاح والانغلاق لا بد أن تضبط، النبي ﷺ لما رأى بيد عمر بن الخطاب صحائف من التوراة غضب غضباً شديداً، إنها عقيدة أخرى، ثقافة أخرى، إنه دين آخر، إنها صحف من عقيدة الآخر صارت بأيدي مسلمين، ما هو الموقف من دين الآخر؟

أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية...، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني). (٣٠)

متهوكون يعني متحيرون، فكان النهي شديداً، وخصوصاً في البداية في مرحلة التكوين، في مرحلة التلقي ونزول الوحي، كان الرفض والبعد عن أي مصدر آخر للتلقي شديداً، إن المسلمين في مرحلة بناء الشخصيات، مرحلة استكمال الدين والعقيدة.

ولذلك لما حاول عمر أن يعتذر ويقول: إنا نسمع أحاديث من اليهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟

اشتد عليه بالنكير، لماذا؟

لأن النبي ﷺ لا يريد شيئاً أن يشوش على المسلمين في هذه المرحلة الخطيرة، في مرحلة البناء والتربية حتى تترسخ أسس هذه الشخصيات الإسلامية، ويقوم بنيانها، ويخرج زرعها شطئه، ويستغلظ، ويستوي على سوقه.

---

(٢٨) رواه ابن ماجه: ٢٣٧، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ١٣٣٢.

(٣٠) رواه أحمد: ١٥١٥٦، وقال محققو المسند: "إسناده ضعيف".

فلما تكامل البنيان لنفوس أصحابه أطلقهم في العالم، وفتحهم في الفتوحات، وهكذا بعد موته قاموا رجالاً وقادة وقدوات، يعلمون، يقضون، يؤمون، يحكمون.

إن النبي ﷺ قد أمر بتعلم لغة يهود في حالة خاصة لزيد رضي الله عنه لكي يكاتبهم، ولكي يدعوهم إلى الله تعالى.

وكذلك كان للنبي ﷺ من يعرف الكتابة ليكتب له الرسائل، ويكتب له قبل ذلك الوحي.

وسائل محاربة الانفتاح

إن مسألة الانفتاح والانغلاق مسألة يجب أن تضبط بميزان الشرع، ونحن اليوم بين جيلين، آباء وأبناء، أو أمهات وبنات، لابد أن يكون هنالك علاج تربوي لهذه القضية؛ لأن الشباب اليوم صار عندهم انفتاح ضخم جداً أكثر من الجيل الذي قبلهم، ولذلك فإنهم قد ينظرون إلى آبائهم على أنهم من مخلفات الماضي وكذلك الأمهات، فضلاً عن الأجداد والجدات.

ولذلك فقد يقول بعضهم: أبي منغلق! أبي متحجر! أبي متزمت! ونحو ذلك، إذا أمره بأمر من الخير أو الكف عن الشر، وكذلك الأم إذا نهت بنتها عن منكر من المنكرات مثلاً، ولذلك فإن اعتماد منهج المصارحة والمكاشفة، وقضية العاطفة، والصداقة، وقضية المحبة والتفاهم، وقضية الإقناع والحوار يجب أن تسود في العلاقة بين الآباء، والأبناء، والأمهات، والبنات.

وإنه ينبغي أن تعطى الفكرة واضحة جداً عن المتدين، أنه ليس شخصية منغلقة لكنه ينفتح بالضوابط الشرعية.

وأيضاً فإن استعمال التقنيات الحديثة اليوم، والأخذ بالتطورات العلمية المتسارعة والمتلاحقة في المجالات المفيدة من أعظم الإثباتات أننا لسنا برجعيين، ولا متحجرين، ولا منغلقين، بل إن الحكمة ضالتنا، نأخذها أنى وجدناها، وحتى يثبت الذين يتبعون منهج السلف للعالم وليس فقط

لهؤلاء الذين يريدون الدعوة إلى الإسلام الجديد حتى يثبتوا أن ما يدعون إليه الحق، ويبينوا أنهم ليسوا بأصحاب تخلف وتأخر يجب الأخذ بالتقنيات الحديثة في نشر الدين والدعوة إلى الله تعالى.

ويجب أن نبين لهم أننا نقبل التطوير في الوسائل لا في الثوابت، والأسس، والقواعد، نقبل التطوير في الآلات ووسائل العرض، بل إننا يمكن أن نطورها أكثر مما فعل القوم، فلا بد أن يوجد في أهل الإسلام الصادقين اليوم من يأخذ بركب التقنية، وأن تعمم هذه التقنية في الآلات، البرمجيات، النظم الإدارية، والأساليب الحديثة.

وعندما يشهد العالم انفتاحات كثيرة وعلوم معرفية تتضاعف تضاعفاً مذهلاً في كل سنة، فلنفرض أنه اليوم فيه مليون معلومة، بعد شهر المليون معلومة تولد أيضاً أخرى، معلومات تتولد معلومات، عدد المعلومات في العالم في تضاعف هائل؛ لأن بعضها يتولد من بعض، ويستنبط بعضها من بعض، وتجارب ومختبرات تعمل، ولذلك فإنه لا بد للمسلمين من الاطلاع على ما يدور من التقنية المتطورة الحديثة والأخذ بها.

وعندما يصبح المتدين الذي يعبد الله عنده تقدم في وسائل التقنية والإدارة وغيرها فإن الذي يتهمه بالانغلاق والجمود سيفاجأ ويصعق عندما يعرف أن هذا صاحب الدين الذي يستمسك بالحق إنما هو مواكب لآخر ما وصل إليه العلم من التقنيات المفيدة.

إن هذا الإثبات مهم جداً في محاربة الدعاوى الباطلة. (٣٢)

أهم المراجع والمصادر

- هُوِيّتُنا أَو الهِاويَةُ، تأليف محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم.
- مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية ، موقع المرسال.
- الانتماء إلى الدين الإسلامي، عبدالباري بن عواض الثبيتي.
- الشّباب وضياع الهُوِيّة، عبد المنعم العلى.

فهرس الموضوعات

١. مفهوم الهوية الإسلامية
٢. أهمية الاعتزاز بالهوية الإسلامية
٣. خصائص الهُوية الإسلامية
٤. مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية
٥. وسائل تعزيز الاعتزاز بالهوية الإسلامية
٦. مفهوم الانتماء للإسلام
٧. واجب كل مسلم تجاه الإسلام
٨. كيف يكون المسلم منتمياً إلى دينه؟
٩. مفهوم الانتماء إلى الإسلام
١٠. الصراع بين الهُوية الإسلامية والعَولمة
١١. الاعتزاز بالهوية الإسلامية سبيل النهضة
١٢. مفهوم هُوية الأمة التي ننتمي اليها
١٣. أهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية
١٤. العوامل التي تهدد هوية الأمة
١٥. لغتنا ثاني درجات هويتنا
١٦. مظاهر الاعتزاز بالهوية الإسلامية

١٧. الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي
١٨. مكونات الهوية الإسلامية
١٩. قيمة التمسك بهوية الأمة الإسلامية
٢٠. ما يهدد هُوية الأمة الإسلامية
٢١. من مظاهر الاعتزاز بالدين
٢٢. مظاهر ضياع الهُويّة
٢٣. أسباب ضياع هوية الشباب
٢٤. بناء الهُويّة المهدمة
٢٥. من وسائل بناء الهوية لدى الشباب
٢٦. الاعتزاز بالهوية يبعث على الفخر والثقة بالنفس
٢٧. من أساليب الشريعة في الحرص على بقاء الهوية الإسلامية
٢٨. من طرق المحافظة على هويتنا الإسلامية
٢٩. احتضان تراث الأمة الإسلامية
٣٠. كيف يعتز المرء بدِينه في بلاد غير المسلمين ؟
٣١. مفهوم الاعتزاز بالإسلام ومظاهره
٣٢. مواقف من اعتزاز الصحابة بالإسلام
٣٣. أساليب طمس الهوية الإسلامية
٣٤. انفتاح المسلمين على الآخرين
٣٥. ضبط الانفتاح والانغلاق بالضوابط الشرعية
٣٦. وسائل محاربة الانفتاح